

مأساة تمثيلية

ذات

خمسة فصول



وضعها المرحوم

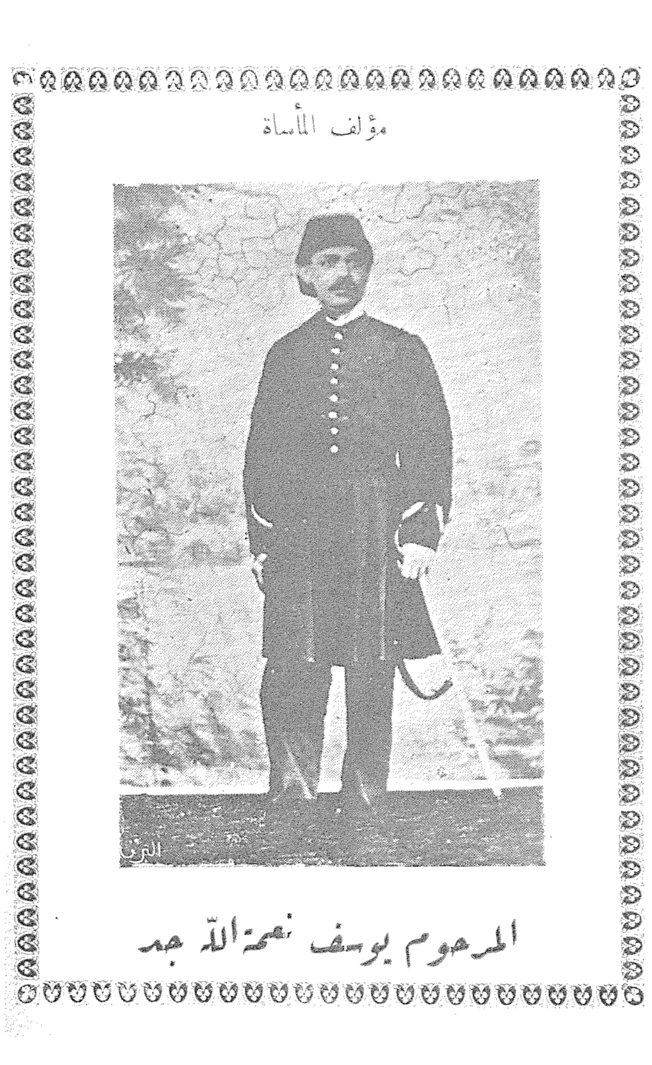
يوسف نعمة الله جد

ترجمان ولاية حلب اربع وعشرين سنة

وقد مثلت لاول مرة سنة ١٨٧٢

مطبعة الشرق انطوان لحلوح وشركاه (الخندق) حلب

مؤلف المأساة



المرحوم يوسف نعمة الله جد



ادیل كسبار دیلیفار

قرينة مؤلف المأساة

مؤلف الرواية

هو يوسف بن نعمة الله بن يوسف (الملقب بالجد) بن انطون بن شكري (الملقب بالحكيم) بن يعقوب بن نعمة بن بطرس اميه . وقد جاء تسلسل هذه الاسماء والالقاب في سجلات الاسقفية المارونية بحلب التي ابتدأ تاريخها في سنة ١٦٦٦ .

وبطرس اميه الجد الاعلى لهذه الاسرة ، يتسلسل من احد اخوين يدعيان : الخوري بطرس اميه والشيخ توما اميه ، وكانا نزحا الى حلب من بشري (لبنان) واتخذاها مسكنا في القرن الرابع عشر على وجه التقدير .

وقد تلقبت هذه الاسرة مدة بلقب حكيم ، لتعاطي شكري احد اجدادها سنة ١٦٩٢ صناعة الطبابة . ولما تركت الطب الى التجارة والاشغال سنة ١٧٧٥ اطلق عليها لقب جد لاشتهارها بالسعي والنشاط اي بالجد والاقدام حتى يومنا هذا ، كما يؤيد ذلك انتشار فروعها في اربعة اقطار المعمور وفيها يتمتعون بالاعتبار والمكانة المرموقة ، بفضل ما عرفوا به أباً عن اب وجداً عن جد من استقامة وحميد اخلاق .

اما المترجم فقد ابصر النور بحلب في اوائل شهر شباط سنة ١٨٤٢ ، فتغذى من لبان الفضائل وصالح الاداب في بيت ابويه المؤسس على البر والتقوى والايمان. وما كاد يبلغ السادسة من عمره حتى دخل المكتب الماروني بحلب ، وكان راقياً في ذلك العهد يتخرج فيه الكثيرون من اعيان الشهباء ، فاكب في هذا المعهد العلمي الزاهر على تعلم مبادىء العربية والتركية فاتقنها قراءة وخطاً مع اصول علم الحساب .

ولما كان والده موسراً ومحباً للعلم والعرفان ، ارسله الى مدرسة عينطورا في لبنان ، وهي اشهر معاهد الشرق الثقافية في ذلك الزمان ، فأخذ التلميذ النجيب عن اساتذته المحامد والمحاسن ، وتخرج في اللغات العربية والتركية والانكليزية والايطالية فاتقنها بما وهبه الله سبحانه من توقد الذهن وحدة الفؤاد واصبح معروفاً بين اقرانه واترابه باجادة عدة لغات ، وكان يزين ذلك صفات طيبة واخلاق رضية قربت الشاب يوسف الى النفوس وحببته الى القلوب فصح فيه قول الشاعر.

اذا كنت من كل الطباع مركباً
فأنت الى كل الانام حبيب

ولما انهى تحصيله في عينطورا قفل راجعا الى موطنه حلب وأخذ يساعد والده في تعاطي التجارة ومختلف الاعمال

ولكنه ، رحمه الله ، كان اشد ميلا الى المعارف والفنون والاداب منه ، الى الاتجار والبيع والشراء ، فكان يقضي معظم اوقاته في المطالعة لاسيما الادبية الاخلاقية التاريخية ليستنتج منها العبر لنفسه وللمجتمع ، لانه رحمه الله كان من اصدق مبادئه قولهم : لم يستحق ان يولد من عاش لنفسه

وبعد ان اروى فؤاده من ينابيع العرفان الادبية وخزن في عقله ثمين المعلومات ، اخذ يفكر بالكتابة والتأليف للمنفعة والافادة ، فألف رواية تمثيلية سماها : بريجيت اودعها الحكم والمواعظ مجارياً بذلك المرحومين : ميخائيل نقاش وشقيقه مارون ، فقد كان بحلب كما كانا ببيروت اول من انشأ الملاعب العربية لتمثيل الروايات الادبية بغية تهذيب النفوس وتلطيف القلوب وتدميث الاخلاق .

وقد مثلت « بريجيت » لاول مرة على مسرح المدرسة المارونية سنة ١٨٧٣ وكان تمثيلها يوماً مشهوداً في الشهباء وفاتحة نهضة ادبية في ربوعها الغنـاء ، اثارت الحماس في صدور الكثيرين من النشء المختار ، فأخذ ينافس المؤلف ويقتدي بأدبه اليانع وعلمه الوافر .

ومما لا بد من ذكره ان هـذه الرواية المبتكرة قلباً وقالباً حضر تمثيلها النخبة المنتخبة من اعيان الشهباء ووجهائها وأدبائها يتصدرهم عثمان باشا والي حلب وكبـار الموظفين ، وقـد اتفقوا في الاعجاب بالمؤلف والثناء على

براعته كما تبارى الشعراء في تقريظه بقصائد اثبتناها في آخر هذا الكتاب .

اما الممثلون رحمهم الله جميعاً فقد اجادوا القاءً وايماءً ، ولا غرو فقد كانوا جميعهم من الشبيبة الراقية المنتخبة في ذلك العهد وقد وصل الينا اسماء بعضهم نذكرهم في ما يلي :

فقد مثل دور يفتاح الملك المرحوم البير جد شقيق المؤلف ووالد السيد اميده جد واخويه . ولعب دور الملكة فيكتورين المرحوم نقولا كي دياب شقيق المثلث الرحمة المطران يوسف دياب . وقام بدور ادوار المرحوم حبيب يوسف اخرس شقيق المثلث الرحمة المطران ميخائيل اخرس ووالد السيدتين ايوني عقيلة المرحوم جوزيف شعراوي وشقيقتها السيدة عليه عقيلة المرحوم اميده شعراوي . وأدى دور بريجيت المرحوم جرجي ثابت والد السيد ايون ثابت رئيس شعبة مالية حلب واخوانه ببيروت وميلانو . ومثل دور اميلي المرحوم حبيب دياب والد السيد انطوان دياب من كبار التجار الحلبيين في بومباي من اعمال الهند وقام بدور فيكتور الاديب المعروف يوسف دياب والد السيد بسيم دياب واخوانه في البصرة ومثل دور اميلي المرحوم هنري عبد الله ثابت وكان قدم حديثا من لوندرا للاقامة بموطنه حلب . ولعب دور القائد اسيت المرحوم رزق الله بطق الذي هجر الى لوندرا . اما دور روبرت فقد مثله المرحوم فرج الله رزق الله حكيم الذي هجر

وشقيقه لويس الى الولايات المتحدة الاميريكية . بقي دور هنريكوس فقد شنف الاذان بتمثيله البلبل الغريد صاحب الصوت الغريد المرحوم باسيل حجار شقيق المرحوم قسطاكي حجار والد حضرة السيد انطوان حجار واخوته بحاب وبيروت وبقي ممثلون اخرون لم تصلنا اسماؤهم والجدير بالذكر ان زينة المرسح والملابس والتمثيل كل ذلك كلف نفقة باهظة تجشمها مؤلف المأساة تعشقاً منه لهذا الفن الرائع .

وقد بلغ استحسان القوم للرواية والممثلين الى حد اصروا عنده على اعادة تمثيلها ، فزاد الاقبال على مشاهدتها والاعجاب بفضل مؤلفها ، فاستدعاه عثمان باشا الوالي المشار اليه وبعد ان شكر له جليل مساعيه في سبيل الاخلاق والثقافة ، اسند اليه مهمة ترجمان ولاية حلب ، وهو منصب دقيق خطير ، يستلزم حنكة ولباقة ، فضلا عن المعرفة والثقافة ، وقد تقلده ، رحمه الله ، عن استحقاق وجدارة ، لما اتصف به من آداب صحيحة واخلاق عالية ، ووفاه حقه من النزاهة والجد والاخلاص ، فكافأته حكومة الباب العالي بان انعمت عليه بالرتبة الثالثة ، وقد شغل هذا المنصب الجليل مدة اربع وعشرين سنة ونيف تعاقب عليه فيها سبعة عشر والياً كان موضوع ثقتهم واحترامهم جميعهم ، كما كان واسطة عقد مواطنيه على مختلف مذاهبهم وطوائفهم يحترمون فيه المروءة والاخلاص . وهذا ما جعله

يتمتع بنفوذ ومكانة نادرين بين قومه ، حتى اصبح عين اعيان النصارى واعظم وجهائهم ، يرجعون اليه في فض مشاكلهم ويصدرون عن رأيه في شوؤنهم ويستنجدونه لدي الوالي وكبار الموظفين كل مرة لحق باحدهم حيف او ضيم .

وبقي في منصب ترجمان الولاية معززاً لدى الناس ومقصداً وملجأ لذوي الحاجات ، الى ان فجع بقرينته المرحومة اديل كسبار دايليفار ، وكانت على جانب من الذكاء وجمال الخلق والاخلاق يعيش واياها على اتم تفاهم ووئام ، فعافت نفسه الابية لدى هذه الرزيئة الاليمة ، الدنيا ومباهجها وزهد بعالي مناصبها ، فاستقال من ترجمة الولاية وانقطع الى العناية بكريمتيه الفاضلتين : وهما السيدة بريجيت ارملة المرحوم نجيب حكيم وشقيقتها الانسة برنديت ، فخصهما بحنان الوالدة وعطف الوالد ، وكان في الوقت نفسه لا يترك فرصة استطاع فيها معروفاً إلا واسداه او فضلا إلا واتاه ، ولا غرو فذلك كان دأبه وديدنه في مختلف اطوار حياته ومهما تقلبت احواله وشوؤنه حتى كأن المتنبي قد عناه حينما قال

وحالات الزمان عليك شتى

وحالك واحد في كل حال

على ان الفاجعة برفيقة حياته قدوة النساء الوفيات الحكيمات ، اثرت في مزاجه الرقيق الى حد اعتلت صحته

عنده فقضى في ١٠ ايلول سنة ١٩٠٣ ، فبكته العيون بأحر الدموع وجرى له مأتم حافل عزّ نظيره في الشهباء ، مشى فيه كبار رجال الولاية والوجهاء والاعيان من مختلف الطوائف والمذاهب وعلى وجوههم سمات الحزن والاسى .

وقصارى القول ان المترجم كان ركنا مكيناً للوجاهة والفضل والادب رزئت به الاخلاق الفاضلة والاريحية وخسرت المرؤة والوطنية خسارة جسيمة .

هذه لمحة من مآثر ذلك العصامي مؤلف مأساة « بريجيت » آتينا على ذكرها بمناسبة اهتمام كريمتيه المشار اليهما آنفا بطبع هـذا الاثر الجميل ، وذلك تجديداً لعواطف البنوة البارة وقياماً بواجب الذكر نحو من كان مثال الآباء الصالحين ، وقد وفى ما عليه نحو العلم والوطن بنبل وخلاص رحمه الله عداد حسناته واجزل ثوابه .

الخوراسقف اغناطيوس سعد
صاحب ومنشئ مجلة « الشهباء »



موضوع المأساة

كانت فيكتورين فتاة يهودية رائعة الجمال ذكية الفؤاد نبيلة الاخلاق ، رغمها والدها على الزواج من يفتاح احد الملوك الوثنيين . وقد رضيت فيكتورين على كره منها بهذا الزواج ، وتمكنت بفضلها ونادر فضائلها ان تدخل حب رجلها في قلبها وان تعيش واياه في صفاء ووئام ، فكان ثمرة هذا الحب الصادق ولدين : بريجيت وادوار ، قرت بهما مدة عيـــنا لزوجين السعيدين ثم مالبث الزمان ان تنكر لهما فدارت رحى نيران الحروب مما اضطر يفتـاح ان يغادر عاصمة ملكه على رأس جيش يقوده بنفسه لاخضاع القبائل والشعوب الثائرة في اطراف مملكة بعيدة الاطراف . وقد قضي سنين بعيدا عـن امرأته وولديه ، منهمكا في المعارك والحروب ، وكان الحظ في هذه السنين يبسم له تارة ويتجهـم اخرى . وكانت امرأته فيكتورين على احر من جمر الفضا لانقطاع اخباره ، وقـــد أثر بعاده في صحتها كل هذه المـــدة وعكر صفاء عيشها ، فاخذت ابنها ادوار ، وقد اصبح شابا ، الشفقة البنوية ، فسار في اسطول ضخم لنجدة ابيه ولكنه لم يكد يقضي ليالي في البحار حتى هبّت عليه عاصفة هوجاء ، اغرقت سفنه ، بدون ان يسلم منها إلا هو وقائده الامين اسيت .

بعد ان قذفتهما الامواج الى شواطىء الحبشة ، قبلهما ملكها واعجب بشهامة ادوار ونبل فؤاده ومضاء عزيمته . وتوسم فيه حسن الطالع وحلو الانتصار ، فجهزه بجيش ليواصل جهاده في سبيل نجدة ابيه .

وكان والده في هذه الاثناء قد نذر انه اذا عاد الى وطنه ظافرا غانما ضحى للالهة باول شخص يقع عليه نظره في بلاطه ، ولما انتصر وعاد الى ملكه كانت ، لسؤ الطالع ، ابنته بريجيت اول شخص وقع عليه نظره ، ولما اراد ان يضحي بها ايفاء لنذره للالهة وانقياداً لنصيحة رئيس كهنة اصنامه ، تصدت له امراته فيكتورين ، وحالت دون تنفيذ نذره الباطل . وقد نجحت بذكائها في ارجاعه عن عزمه بل تمكنت من استمالته الى عبادة الحق سبحانه .

هذا ملخص المأساة ويتخلل ذلك حوادث مثيرة البسها مؤلفها النابه ثوبا رائعاً جذاباً ، مما كان لتمثيلها النجاح وله مزيد الفخر والثناء .



اشخاص الرواية

يفتاح	:	الملك وزوج فيكتورين
فيكتورين	:	الملكة زوجة يفتاح
ادوار	:	بن يفتاح
بريجيت	:	ابنة يفتاح
اميلي	:	صديقة الملكة
روبرت	:	وزير اول
هنريكوس	:	وزير ثان
ثلاثة وزراء	:	. . . .
اسيت	}	قائدان
فيكتور		
ست عذارى	:	. . .
ثمانية كهنة	:	من اليهود
ثمانية كهنة	:	وثنيون
رئيس كهنة	:	الاصنام
ملك الحبش	:	. . .
قائد حبشي	:	. . .
جنود ضباط	:	. . .

الفصل الاول

المشهد الاول

فيكتورين (الملكة) ايملي (صديقتها) ست عذارى

اميلي : عفوا يا صاحبة الجلالة ، فقد شجعني تعلقي الصادق بشخصك المفدى ، على ان التمس منك ان تبوحي لي بعلة اضطرابك وسبب قلقك منذ حين . فلو كنت ترتابين في اخلاصي او كان عطفك عليّ اقل من حبي لك ، لما كنت تجرأت على ان اسألك ما سألتك اياه ، وهو ان تطلعيني على ما عكر صفاء عيشك . فقد تملكتني الهموم منذ شاهدتك حزينة كئيبة . كيف تهنأ لي الحياة ، وانت يامولاتي ، هائمة في اودية الاشجان ؟ الا تسمحين لي بالوقوف على حقيقة حزنك لاشاركك في غمك! او ليس من اقدس واجبي ان ابذل نفسي ونفيسي في سبيل ازاحة

السحابة السوداء التي حجبت نور الهناء عن سماء نفسك المضيئة . فتنازلي وكاشفيني بافكارك كما عودتني ذلك منذ اصبحت موضوع التفاتك وعطفك، وكوني على اتم ثقة من اني لن ازال حتى آخر رمق من حياتي صديقة وفية ووصيفة امينة لا يطيب لها عيش بدون هناء مولاتها .

فيكتورين: اشكر لك يا اميلي ، نبيل عواطفك ، فلن أنسى مدى الحياة مختلف مظاهر صادق مودتك ، فطالما كنت عزائي في محنتي وبقاؤك بالقرب مني ينفس كربتي ، واما رغبتك في ان اكشف لك داخل صدري فهذا ما لا استطيعه وتأباه نفسي .

اميلي : أهذا يا مولاتي جزاء اخلاصي : ليت شعري ما هو ذنبي اليك لاجازى بهذا الصدود منك! الا اذكري اني هجرت اهلي وعشيرتي لاجلك ، لا تنسي اني ضحيت بعواطف قلبي على مذبح حبك، واصبحت اتبع لك من ظلك لاتوفر على راحتك . وانت تعلمين حق العلم ان لا شيء ينحرف

بي عن مودتك الصادقة او ينسيني حبك وولاءك ،
واني لثابتة على هذه المبادىء محتفظة بها احتفاظي باللآلىء
والجواهر . فهل يجوز في شرع الحب والاخلاص ان
اقابل على ما ذكرت بالصد والارتياب ! كوني على يقين
ياسيدتي من انه لا شيء يؤلمني وينغص عيشي مثل ان اراك
في ضيق وعناء ، وانا عاجزة عن تفريج او على الاقل عن
تلطيف حزنك. ان اعراضك وكتمانك عني دخيلة امرك،
كل ذلك يقتلني هما وغماً . وها قد بلغ هذا الغم حداً ما
عدت اطيق عنده الحياة بالقرب منك . ولست اخفي عنك
اني عزمت على ان اهجر قصرك وابتعد عنك ، واياك ان
يخطر على بالك اني اقدم على هذه التضحية المؤلمة لاعود
الى اهلي وعشيرتي ، كلا ! بل ساعتزل كل عزيز وقريب
لاخلو الى احزاني نادبة سوء طالعي باكية ضياع آمالي .

فيكتورين : كفى ! كفى ياعزيزتي ! انك تزيديني مصاباً على مصاب
وتصبين زيتا على نيران الامي وشجوني . اتبلغ منك

القساوة الى حد تتركيني عنده وحيدة ليس لي من اشكو اليه منتهى حزني . الا اعذريني ورثي لحالي ، فهذا اولى من ان تلوميني وتهجريني . واياك ان يخطر لك على بال ان سكوتي ناجم عن ارتيابي في اخلاصك . اني لن افشو لسواك بسري ، وانما قبضت نفسي عنك شفقة عليك وضنا بقلبك الرقيق ان يصبح مثل قلبي فريسة الهموم والاحزان . ان اشفاقي عليك هو الذي منعني ان ابوح لك بسري ، لاني لست اريد ان تشاركيني في مصابي . اني اتلهى متسلية بمودتك ، وهذا ما يقويني ، ولولا ذلك لرزحت تحت عبء كآبة نفسي . اني اجد فيك سلواتي وعزائي ، واستأنس بك وارتاح اليك . فهل ترضين بالبعاد عني ، لتتركيني غائصة في لجج الالام والاكدار . كلا اني لا استطيع ان اتصور هذا منك ، ولا اصدق ان في امكانك تركي وهجري ، الا ارحميني وارثي لشقائي يا اميلي وثقي من ثباتي على عهدك .

اميلي : استحلفك ، يامولاتي ، باسم هذه المودة التي تشرفيني

بها ، ان تكشفي لي سرك وان تحبطي لي النقاب عن سر همك . الا تعلمين اني اوثر فراق روحي على مفارقتك ؟ اتجهلين انه يفوق قوتي انارالك حزينة كئيبة تنخر الهموم عظامك نخرا ، وها اني انطرح متوسلة على اقدامك ان تفتحي لي مغلق قلبك .

فيكتورين : (تنهضها) اميلي لقد اسرت قلبي بسلاسل اخلاصك وارغمتني على ان ابوح لك بما انا مشفقة عليك من معرفته اما وانت تصرين عليّ هذا الاصرار، فانا نازلة عند ارادتك ومطلعة اياك على دخيلة امري انت ، ايتها الحبيبة ، لا تجهلين حوادث صبائي وكيف ان والدي اراد ان يكرهني على الزواج من الملك بالرغم من ممارسته عبادة الاوثان ، فمانعت بداءة ذي بدء وأظهرت نفوري واشمئزازي من الاقتران برجل لا امت اليه بصلة دين واعتقاد . فشدد والدي عليّ النكير ، ولما عيل صبري وخارت عزيمتي إذاء تصلب والدي ودموع والدتي ، رضيت بالملك بعلاً ورأيت من واجبي وقد اصبح لي رجلاً ، ان ادخله الى قلبي حتى

تمكن حبه من صدري ، فقضيت واياه بضع سنين تعاطينا
فيها كوؤس الالفة والوئام . وبارك الله سبحانه ائتلافنا
فانعم علينا بثمرة حبنا: برجيت وادوار . فا كتمل سروري
ولم يبق لي من هم سوى ان استميل زوجي عن عبادة
الاوثان الى السجود لرب الصباؤت سبحانه ، ولكن الدهر
عاكس ارادتي وأبى الا معاندتي ، فشتت شملنا وأبعد
زوجي عني الى ساحة الحرب عرضة للاخطار والاهوال.
آه يا اميلي من تلك الليلة المشوؤمة ليلة وداعه المؤلمة !فحينما
تمر بخاطري أشعر بالم مذيب ، فاني لا ازال اذكر كيف
دخل حجرتي وقبلني مودعاً فودعته وبودي الا اودعه ،
اذ ذهب بذهابه عني الانس والهناء ولازمني الويل والثبور
وها اني الان ملهوفة ملتاعة ، اعلل نفسي بامل عودته الي
سالماً ، اقضي اوقاتي اذوب شوقاً الى لقائه ، وانتظر
اخباره انتظار المظلوم للانتصار ، اضرع داعيا الى الله ،
جل جلاله ، ان يرأف بنا ويمن علينا بالاجتماع ، واني لخائفة
على امالي من الضياع ، فمنذ مدة اخذت تساورني الافكار

والهواجس ، وصرت اشعر بانقباض في صدري وبامواج
من القلق تقذفني من لجة الى لجة ، وكأن صوتا في اعماق
قلبي يناجيني قائلا : اني على وشك معاناة شدائد يجمد الدم
في العروق من مجرد تصورها، وها اني الان اليفة الاحزان
تتصاعد من صدري الزفرات بدون انقطاع .

ومما زادني هما على هم اني منذ خمسة عشر يوما بينما كنت
في سريري ، اهيم تائهة في بيداء هواجسي ، وبالقرب
مني ولداي : بريجيت وادوار ، اجل بينما كنت غائصة
في هذا البحر من الكآبة خطر لي والدي ووطني ، وما
تركت فيه من اهل واصدقاء فهاجت احزاني وانهمرت
الدموع من عيني ، ثم غفوت قليلا فتمثلت امامي رؤيا مرعبة
فقد رأيت بوماً على طرف سريري ينعق ، فاندفعت
غائبة عن رشدي اطرده ، ففر هاربا حتى وقف على نافذة
حجرتي ، ثم ارتد عائداً الي وهو ينعق اشد من ذي قبل ،
فهرولت لطرده ووقفت مشدوهة امام النافذة بدون حراك
وكنت أشعر كأن يداً تحاول انتزاع روحي من صدري،

وكان الهواء بارداً والجو قاتما والاشجار تمايل متألمة ، ثم خارت قواي فأستلقيت على سريري اتلوى على فراشي بدون ان يغمض جفني ، ولما انتصف الليل عاد البوم ثالثة فاستولى علي ذعر شديد وانتابتني اوهام وهواجس اذاقتني الالم المذيب. وتصورت نفسي في جحيم تنهشني فيه الحيات والافاعي تحاول ابتلاعي وابتلاع ولدي : بريجيت وادوار فاخذت استغيث واستجير ولا مغيث ولا مجير ، فجعلت من صدري ترساً اصد به السهام عنهما ، وبين انا في نضال وصراع مرير وعلى وشك الاستسلام ، اذا بقوة غير عادية تثور في داخلي ، فاندفعت بكل استبسال وانتشلت ولديّ من تلك الهوة السحيقة وما كدت انجو بهما حتى سقطت مغشياً عليّ ، وما ايقظني الا صراخ البوم ونعيقه على النافذة . ولما طلع الفجر ولى هذا الطائر المشؤوم هاربا وحدثني ياعزيزتي اميلي ولا حرج عما احدث في هذا المنام البشع من شجون وكروب . فهذه حالتي وهذه بليتي وانما كتمت عنك حقيقتي ، اشفاقاً على قلبك الرقيق ان يصبح

مثل قلبي ، العوبة الهواجس والهموم . واياك ان
يخامرك اقل ريب في اني لا اثق بعودتك كل الثقة .

اميلي : مهما كان هذا المنام بشعاً مرعبا فانه أوهام وأحلام ، إنما
تنشأ في الغالب ، عن شدة التأثر والافتكار . ألا بددي
عنك هذه الهموم وثقي بالله فهو سبحانه خير معين وعليه
اتكالنا في كل حين ،

فيكتورين : اجل يا عزيزتي اميلي ، سأتبع نصائحك وساذعن تمام
الاذعان لمشيئة الله جل جلاله ، وساجهد في اقصاء هذه
الاحلام عني وبذلك ارجو أن اخفف من احزاني
واحزانك انت ايضا .

المشهد الثاني

فيكتورين ، اميلي ، ادوار ، القائد اسيت ، ست عذارى

ادور : (يدخل) والدتي الحبيبة جئت لمعانقتك واطلاعك على
امر عقدت عليه عزمي ، فانا مسافر ، وقد اتخذت المدة



للرحيل ، وبعد ساعة اسير على بركة الله ، فزودني برضاك ورافقيني بدعاك . واسألي المولى ان يفيزني بالعودة اليك في القريب العاجل ، على أوفى حظ من السعد والتوفيق

فيكتورين : انت ، ادوار ، تسافر ! انت حبيبي تغادرني وحدي ! انت مهجة فؤادي تنفصل عني ! ولماذا ! إلهي أعني وأبعد عني هذا الكاس ، فقد توالت علي المصائب ورماني الدهر بالارزاء تلو الارزاء .

وصرت اذا اصابتني سهام

تكسرت السهام على السهام

ادور : بلدي عنك هذه الاوهام ايتها الام الحنونة ، فلن يكون سفري للسلوة والاستمتاع ، وانما للجد والتفتيش عن والدي ، فقد عولت على ان اطوف البراري والقفار واجتاز الانهار والبحار ، علني اهتدي اليه فاعود به اليك، مكللين بالنجاح والانتصار ، لقد طال شوقنا كلينا اليه

وما عدنا نستطيع الصبر على فراقه وانحباس اخباره .

فيكتورين : هيهات ان اسمح لك ايها الحبيب بالبعاد عني ولو ساعة ، فحينما عزم والدك على السفر طفقت اعلل النفس بقرب عودته وصرت اقضي اوقاتي معتنية بتربيتك وتربية شقيقتك بريجيت ، فكنتما تعزيتي الوحيدة وعلة بقائي . ان مجرد افتكاري بابتعادك عني يجمد الدم في عروقي . آه ياولدي لا تنس اني سكبت نفسي على هيكل حبك متمنية لو اعطيك كل ما في قلبي من دم وكل ما في نفسي من قوة وكل ما في كياني من حياة ، أو يمكن بعد هذا ان تفارقني وتتركني حزينة وحدي ، تقدم والمس يدي ، اكاد أقضي أسى ، وانت لا تزال عندي ، فكيف بي وانت بعيد عني !

ادور : اماه ! انما اريد البعاد عنك لافرج ضيق قلبك ، فمن واجبي ان افتش عن والدي لاعود به اليك ظافراً فاحول حزنك الى سرور وحبور .

فيكتورين : ولداه وحشاشة كبداه ، استحلفك بحبك لي ان تبقى
بالقرب مني ، كفى ما حل بي ، فما عدت اتحمل المزيد
من الالم والعذاب ، هلم الي وعانقني وعدني بانك سوف
تلازمني لتؤنس وحشتي وتقوي ضعفي . انت وحدك
تبكي لبكائي وتضمد كلوم قلبي ، ألا بربي عليك قل لي
لقد رجعت عن عزمي .

ادور : يا للمصيبة العمياء ! اماه اتشكين في اخلاصي ؟ هل
خالفت لك حتى الان امراً حتى ترتابي بخصوعي ؟ الم
اضحي في سبيل رضاك بكل غال ورخيص ؟ اما تأكدلك
حتى الان اني اوثر ان اموت على ان اعصى لك امراً ؟
ولكني ، بالرغم من كل ذلك ، ما عدت اطيق ان اراك
في بؤس وشقاء يفتتان قلب الجماد ، فضلا عن ان من
واجبي ان افتش عن والدي ، ولا سيما وقد اضطربت
شوؤن المملكة واختل نظام امنها ودالت امورها الى
اناس يجهلون مكانتها . فهل من المروءة ان اراك ، وسيف

البؤس والالم يحز فؤادك حزاً، ولا اقوم بحركة لاسعادك ؟ كلا ثم كلا لن ارجع عن عزمي بل استحلفك بمحبتك لي ولوالدي ان تتركيني وشأني ، عسى يمن الله علينا بالتوفيق والفرج . اطمئني بالا فاني ساكون على اتصال دائم بك ولن اتاخر لحظة عين عن العودة اليك متى توفقت الى الوقوف على آثار والدي وفزت برؤيته والاطمئنان الى سلامته.

اميلي : بربي عليك ان تقلع عن عزمك ، الا ارحم والدتك واشفق على صباك ، فانت لا تزال في مقتبل الشباب وبحاجة الى الحكمة والسداد . ان ما انت قادم عليه من سفر شاق لمحفوف بمهالك ومعاطب يصعب عليك جداً محاذرتها ، ووالدتك بحق ان تخشى عليك اخطار السفر ، وكفاها ما تعانيه بسبب غياب والدك ، ان التحاقك به سوف يقضي عليها غماً وكداً ، فاشفق عليها واقلع عن عزمك.

ادور : انت يا اميلي صديقة امي الحميمة تمنعيني عن السعي في طلب والدي لا عيده اليها فيعود اليها هناؤها وسلامها ؟ ما هذه الطياشة والرعونة ؟ والدتي الحبيبة لقد نفذ صبري وضاق صدري ولن اتحمل بعد اليوم ان اراك مهشمة جريحة بسيف بعاد والدي ، فان كنت تؤثرين ان اموت بالقرب منك لوعة وحسرة ، على ان اركب الاخطار سعياً في طلب والدي والانتصار فها انا باق بالقرب منك ومطيع لك جهدي .

فيكتورين : الهي ! انت علام الغيب ، وأدرى مني بمصلحة ابني وزوجي ، انر عقلي والهمني ما فيه خيرهما . لست سوى امراة حزينة كئيبة وضعيفة واهية فقوني وشجعني ، وها اني مستسلمة لارادتك فافعل ما تشاء وتريد .

ادور : اشكر لك يا والدتي الحبيبة مزيد حنانك ، واني أقسم لك بان حبك سيظل مالئا فؤادي وصورتك منطبعة على جوانح قلبي وذكرى عذابك والامك لن تفارقني طرفة

عين ، وسيكون لي كل ذلك اقوى منبه لاجتناب الاخطار والسعي بكل حكمة وجد واعتزاز ، اطمئني بالا وامتلئي ثقة وايماناً وزوديني ببركتك فهي خير معين لي ورفيق وساكون ، ان شاء الله ، عند ارادتك وحسن ظنك بي .

فيكتورين : اشكر لك ياولدي عواطف الوجد والكرامة والاخلاص وادعو لك من صميم جوارحي بالتوفيق والنجاح واسأله سبحانه ان يسهر على سلامتك . (الى اسيت) وانت ايها القائد الباسل الامين أكل اليك رجائي ومحط امالي ، ولولا ثقتي بانك تخص ولدي بالعناية الممتازة والانعطاف المشجع لما كنت آذن بابتعاده وغربته ، فكن له كما كنت ولم تزال للملك وللمملكة المستشار الحكيم والخادم الامين : أنره بنصائحك وامده لدى الاقتضاء بسديد ارائك ، فاني أكله الى درايتك واسلم امره الى حكمتك واهتمامك ، واملي الوثيق انك سوف تحقق رجائي .

فاقابل يدك البيضاء بالشكر والثناء .

اسيت : ساكون عند ظنك بي يامولاتي ، وساسهر على مولاي ادور سهري على حدقة عيني وساكون له ترساً يقيه كل هول وخطر .

فيكتورين : اشكر لك نبل عواطفك وصدق استعدادك واني اود ان يكون وداعي لولدي في هيكل الله جل جلاله ، فهناك استودعك ابني ليتولى سبحانه حراسته وتوفيقه في مهمته .

(يسدل الستار)

الفصل الثاني

المشهد الاول

روبرت (الوزير) فيكتور (القائد)

روبرت : ما الخبر يا فيكتور، وما السبب في استدعاء الملك اياك في هذا الصباح ؟

فيكتور : لقد امرني جلالته ان اسافر فوراً الى العاصمة، حاملا كتابا خطيرا منه الى جلالة الملكة فيكتورين، فامتثلت امره بدون تردد حرصاً على رضاه وطمعاً بعطفه .

روبرت انى لا شكر الالهة على سماحها لي بالاجتماع بك قبل سفرك، فان لي حديثاً هاماً اود ان افضي به اليك راجيا ان تؤيدني في ما انا عازم عليه .

فيكتور : اني، ايها الوزير، لاطوع لك من بنانك، وما اسعدني

اذا تمكنت من خدمتك بما تريد .

روبرت : شكراً لك ، لكن اعلم ان ما ارومه منك هو من الخطورة بمكان عظيم ، ويجب ان يبقى سراً دفيناً بيننا ، بدون ان يتجاوز احداً منا ، لان في اطلاع الملك ، حتى على جزء يسير منه ، هلاكنا انت وانا ، ولذا فاني اطاب منك ان تحلف لي بالاقسام المغاظة انك لا تبوح بحرف على الاطلاق ، فانا اخشى العار والفضيحة وبطش الملك ، بنا وبكل من يمت بصلة الينا ، من نساء وبنين واقارب ومحبين .

فيكتور : مولاي احلف لك بأغلظ الايمان ان اكتم اشد الكتمان كل ما تقوله لي بدون ان ابوح بحرف واحد منه ، فكن مطمئن البال ، ولا يخامرنك اقل ارتياب في صدقي واخلاصي .

روبرت : اما وقد عاهدتني على كتمان السر فاني لمطلعك على باطن

امري وما قادني اليه سوء حظي . فقد اتصلت باعداء المملكة وعاهدتهم سراً على ان اطلعهم على الخطط التي وضعناها لمحاربتهم، وعلى التدابير التي اتخذناها لالحاق الهزيمة بهم وقد تم كل ذلك بكل ضبط ودقة، وقبضت المبلغ المنفق عليه جزاء خيانتي ، وقدره سبعمائة وخمسون الف دينار ، ولا بد انك قد علمت بالهزيمة الشنيعة التي منيت بها جيوشنا والخسائر الفادحة التي لحقت بالبلاد في المعركة الاخيرة التي دارت رحاها في سهول افرائيم .

فيكتور : يالفظاعة الخيانة ! ويا لشر المصيبة !

روبرت : ولما كان الاعداء يخشون تدفق النجدات على الملك من مختلف الجهات ، اكثروا مواعيدهم وتعهدوا لي بمضاعفة عطاياهم ، اذا انا تمكنت من اشعال نيران الحرب الاهلية في البلاد والحؤول دون وصول العدد والمعدات ، وقد توعدوني في الوقت نفسه بانهم يفضحون خيانتي ويجعلوني عبرة لمن اعتبر ، اذا ترددت في اجابة طلبهم ونكصت

عهدي لهم . وقد ندمت على ما فعلت ، ولكن لات ساعة مندم . ولما بلغني انك على اهبة التوجه الى العاصمة رأيت ان اغنم فرصة سفرك ، لاطلب منك ان تبذل مجهودك في اثارة الشعب واذكاء نيران الفتن في العاصمة وسواها ، لتحول دون ارسال المدد، واني لمزودك برسائل وتوصيات الى اصدقائي ليؤيدوك ويمنحوك كل مساعدة تفتقر اليها . واعلم اني ما عدت اطمع بشيء على الاطلاق بل ساحول اليك كل ما وعدني به الاعداء ليكون لك وحدك .

فيكتور : لقد أثار ، ايها الوزير ، حديثك الخطير دهشتي وفزعي معاً . اجل ، لقد عاهدتك على كتمان السر دون ان ابوح بحركة منه ، مهما كلفني الامر ، ولكني يشق عليَّ جداً ان اكون شريكك في الغدر والخيانة كيف امكن رجلا جليلا مثلك وذا مقام عظيم نظيرك ، ان يقدم على ما أقدمت عليه ، مضحيا بمليكه وبلاده تلقاء بعض دريهمات

هو في غنى عنها ! لعمري ان ذلك لغباوة لا توصف وقساوة ونزالة تأباهما حتى النفوس الصغيرة ! والاغرب من كل ذلك انك عوضاً عن ان تصلح ما افسدت في ساعة طيش وحمق ، وتعوض عما ازهقت من ارواح بريئة ، اراك تستنبط الخطط وتتوسل بكل الوسائل للقضاء على كل امل في تضميد كلوم بلادك . ألم تكفك الدماء التي اجريتها في معركة الامس ! ألم تشف غليك النفوس التي ازهقتها ! ألم يردعك عن التمادي في طغيانك ما لحق بالجيش من عار وهوان ! اجل ألم يكفك كل ذلك حتى جئت الان تخترع الحيل الشيطانية الجهنمية لتقضي على البقية الباقية من كرامة البلاد وعزها . ناشدتك الالهة إلا رجعت عن عزمك ! الا ارحم الامهات اللواتي ستثكل اولادهن ! ألا إرث لحال النساء اللواتي سيفقدن رجالهن . ألا تخاف صواعق غضب الالهة ! ألا تعلم ان عاقبة الخيانة والغدر الهلاك والموت الزؤام . اذكر ان الملك انما استأمنك على البلاد لتسهر

على امنها وتعمل جهدك على اسعادها . فاستحلفك بأعز شيء لديك ان تصحو من سكرتك ، وتشفق على نفسك قبل فوات الاوان ووقوعك في الشباك والافخاخ . اجل ان الواجب والوطنية يفرضان عليّ ان ابوح بالسر لولا اني قد تقدمت وعاهدتك على الكتمان وقد سبق السيف العزل .

روبرت : فما العمل وقد اصبحت على أهبة تنفيذ الخطة التي رسمتها وافشيتها لك . اني لمحتار في أمري ومفتقر كل الافتقار الى نصائحك ايها القائد النبيل وما عاد يجوز لي الانفصال عنك ، واني محتفظ بك لتنيرني بنصائحك وتمدني برأيك السديد .

فيكتور : وكيف يمكنني البقاء عندك وانا حامل اوامر الملك الى العاصمة ؟

روبرت : لعمري ! انه لا اسهل من ذلك ، فيمكنك ان ترفع كتابا الى جلالته تشكو له فيه انحراف صحتك وانك

قد عهدت الي بايصال الكتاب . ولما كان الملك قد أمر ان يعقد فوراً مجلس سري يتلى فيه التقرير الوارد من القائد العام ، فاني ساغتنم هذه الفرصة لانوه بذكرك وارفع شأنك . ومتى انفضّ المجلس اجتمعت بك واتفقت معك على الخطة التي سنضعها لتبليغ القائد العام لجيش الاعداء اني ارفض رفضا باتا ما عرضه عليّ واني لا ارضى بان اخون بلادي ولو صارت السماء ارضاً .. اما الان فارجوك ان تذهب الى انتظاري بقرب المعسكر فاني موافيك الى هناك على جناح السرعة (يخرج) .

فيكتور : مولاي اما وقد انقدت الى نصحي وشرفتني بان اكون سبب انقاذ الالوف من النفوس البرية من هلاك محتم فاني مخاطر بنفسي وذاهب الى معسكر الاعداء كما قلت لكني ارجوك ان تتولى ايصال هذا الكتاب (يخرج) .

المشهد الثاني

روبرت

روبرت يا لي من احمق جاهل ! لقد تسرعت في اطلاع من لاسالف

علم لي به على دخيلة امري ! واني لاخشى ان يحنث في يمينه وان يكون اعطاني بلسانه ماليس بقلبه. لقد التبس عليّ امري! فما الرأي وما التدبير وما العمل! لقد طرحت نفسي في الفضائح والمخازي ! أيجرأ قائد حقير صغير على ان يؤنبني ! ايذري بي ويحتقرني من هو دوني رتبة ومقاماً ! كلا لن ارضى بهذا العار يلحق بي ! ولن انام على الضيم ! وانت ايها القائد الجبان ان كنت ريحاً فستلقى مني اعصارا ! فسأنكل بك افظع تنكيل وساجعلنك عبرة لمن اعتبر ، واني لموردك موارد الموت والهلاك مهما كلفني الامر (يدخل الملك وعشر جنود وضابطان) .

المشهد الثالث

روبروت ، يفتاح (الملك) ضابطان ، ثلاثة وزراء ، عشرة جنود

يفتاح : ايها الوزراء والضباط يؤسفني ان افيدكم ان الالهة قد تخلت عنا والقدر قد تجرد لمناوئتنا . إن اشباحا مرعبة

تراءت لي في منامي ، وأني لخائف وجل منها ! ويشق
عليّ جدا أن اطلعكم على قلقي وهواجس قلبي ، ولكني
مضطر ان ابسط لكم الحقيقة مجردة عارية ، فانتم اعواني
وشركائي في تدبير شؤون الدولة ، وعليكم عقدت امالي
في رقي البلادوسلامها من كل ذل وهوان ، وها اني اقص
عليكم ما رأيته في منامي ، فما غمضت عيناي مساء تلك
المعركة الدامية التي خضتها واياكم حتى وجدت نفسي في
مغارة فسيحة ، قام في وسطها جبل شامخ ، الى يمينه واد
عميق تستعر فيه النيران ، والى شماله بحر عظيم تتلاطم
فيه التماسيح والحيتان ، ولما اجلت نظري في ذلك المشهد
المرعب ، رأيت ، وياهول ما رأيت ، الملكة فيكتورين
وولدي : ادور وبريجيت وقد قفز من البحر تنين اسود
فارتقى الجبل واختطف ادور وهبط به في قاع البحر ،
ولما ادرت نظري رأيت باشقاً مرعباً يصعد من الوادي
وينقض على الملكة محاولا ان ينتزع منها بريجيت ، وهي
متمسكة بها تندب مهجة فؤادها ادور ، بعد ان غاب

عنها ، بكلمات يتفتت لها الجامود . ثم انتصبت وسجدت
لذلك الباشق الجهنمي ، متوسلة اليه ان يعفو عن ابنتها ،
ولكنه لم يعف بل فرّ بها محلقاً في الجو . وما توسط سماء
الوادي حتى زج ، على مشهد مني ، بريجيت في الاتون .
ويالهول مشهد تلك الام المسكينة ، وقد رأت بأم عينها
وفي برهة واحدة : ابنها يزج في قعر البحر ، وابنتها يلقى
بها في أتون النار ! اما انا فقد اندفعت اندفاع السهم
لنجدتها ولكن أنى لي ان اجتاز اتون النار ، واصعد شامخ
الجبال ، فتصدع قلبي غماً وألما ، وقمت لا أعي ماذا اعمل ،
واني لكذلك ، واذا بابني ادوار يخرج من البحر ممتطياً
صهوة جواد اشهب ، يسير وراءه احد قواد الجيش وذلك
في وسط جيش عرمرم ، ثم وثب ذلك الابن البار
وانتشل باسرع من لمح البصر شقيقته بريجيت وسار بها
الى امها فيكتورين ، فاحتضنتها هي واخاها ، واذا بذلك
الاتون يتحول الى هيكل عظيم وبذاك البحر الى مرج
فسيح وذاك الجبل ينخفض فيصبح عرشا . ولما اردت

معانقة زوجتي وولدي استيقظت فوجدت نفسي في سريري يتصبب عرقي . ولست اخفي عنكم مزيد اضطرابي من هذه المشاهد المؤلمة ، فما رايكم فيها !

روبرت : انها والحق يقال ، لمشاهد مرعبة ، على انها مهما كانت مروعة ، لاتزال احقر من ان تؤثر في جلالتكم ، بعد المعارك التي شهدتموها والخطوب التي ذقتم شدائدها .

الملك : اجل انها ، لكما قلت اضغاث احلام ، ولكني لا ازال تحت تأثيرها وجل ما أرجوه من الالهة ان تقصي عنا عواقب هذه الامور المحزنة ، والان اود ان اسمعكم التقرير الوارد اليَّ من قائد الجيوش العام (ويدفع التقرير الى احد الوزراء) .

احدالوزراء : يتلو التقرير :

مولاي :

يؤلمني جدا ان أرفع الى جلالتكم نتائج المعركة التي

اشتبكت فيها جنودكم في اليوم الماضي ، فقد حمي وطيس القتال قبيل بزوغ النهار ، وبقي مستعراً حتى انتصاف الليل . ويسرني ان افيدكم ان جيشكم الباسل ، أبدى من ضروب الشجاعة واسترخاص النفس ، ما يعجز عنه الوصف ، وذلك بالرغم من معاكسة الطبيعة والقدر . وبينما كان الجيش يتقهقر خدعة ليستدرج الاعداء الى كمين اعده لهم ، ثارت فيه نار الحمية فأعاد الكرة منقضاً انقضاض الصواعق ، وانه على وشك الوصول الى القلاع لاحتلالها ورفع اعلامنا عليها ، واذا بالسماء تظلم والغيوم تتلبد والريح تزمجر والعاصفة تهب هوجاء ، وقد تبع ذلك كله امطار غزيرة غرقت السيول والبطاح ، وهنا اختلط الحابل بالنابل وعلا الصراخ ، وقامت السيوف ، في الرقاب خطباء وسالت الدماء انهاراً ، مما اضطررنا معه الى التخلي عن استحكاماتنا تاركين ما لا يقل عن ثمانين الف قتيل وجريح في انين ونزاع . اما خسائر الاعداء فقد فاقت بكثير خسائرنا . اجل لقد استرجعوا نقطتين

خطيرتين ولكنهم تكبدوا في سبيل ذلك ما ينوف على مائتي الف قتيل وجريح، تغطت بهم السهول ومختلف الميادين . ويؤلمني جدا ان الفت انتباه جلالتكم، نصرها الله، الى شبهة ساورتني، فلا بد ان يكون للاعداء في صفوفنا اصدقاء خونة، يحملون اليهم اخبارنا ويكشفون لهم خططنا وتدابيرنا، فقد لحظت منهم حذراً واستعداداً عظيمين في كل ناحية تعمدنا الهجوم عليهم منها، مما حيرني وجعلني ان اضع فوراً لكل هجوم خطة وتدبيراً جديدين . فالتمس ان تعيروا هذه الظاهرة اهتمامكم حتى ينكشف الامر وينجلي الموقف .

واني لا توسل اليكم بكل الحاح ان تصدروا اوامركم بارسال المدد والذخائر بأقرب ما يمكن، والمبادرة الى حشد الاحتياطي وتوجيهه الى ساحة المعمعة في اول فرصة، فلم يعد يمكنني القيام باي حركة كانت قبل الحصول على نجدة املأ بها ما حدث من نقص وفراغ في الصفوف.

ويهمني ان تحيط جلالتكم علما بان تقريري هذا مهما كان حقيقيا راهنا ، فلا نزال الامل بالانتصار قوياً ، ولا سيما اذا اسرعتم بارسال النجدة المنتظرة .

واني لارجو ان اتشرف بجلالتكم عاجلا لاطلعكم شفاها على التدابير القوية المتخذة لمجابهة الموقف ايد الله جلالتكم بالعز والانتصار .   القائد العام

روبرت : انها لحالة مؤسفة وتستلزم علاجات سريعة قوية .

يفتاح : وبماذا تشيرون ايها الوزراء ، يالهـا من داهيـة دهياء استرجاع قلعة تجشمنا في سبيل احتلالها ارواحاً واموالا لا تحصى ولا تعد .

روبرت : اما انا ياصاحب الجلالة فاني ارى ان نبدأ أولا بالبحث عن ذلك الخائن الذي سولت له نفسه الأثيمة جريمة هذه الخيانة الفظيعة .

يفتاح : ومن عساه يكون ! لاذيقنه مرّ العذاب .

روبرت : اني لارتاب في القائد فيكتور ، فقـد رأيته يحمل كتابا ووجهته معسكر الاعداء .

يفتاح : ومن يكون هذا القائد وما هو سر هذا الكتاب .

روبرت : انه القائد الذي ارسلته جلالتكم لابلاغ العاصمة اوامركم

يفتاح ولمَ يا ترى قصد معسكر الاعـداء ، عوضا عـن ان يقوم بالمهمة التي عهدت بها اليه ! ان لفي الامر سراً خطيراً .

روبرت : لقد استهدف ، ولا ريب ، للظنون والاشتباه ، ولا بدّ ان يكون هو الخائن الماكر .

يفتاح ياله من خوؤن غـدار ، القوا القبض عليـه فوراً وزجوه مكبلا بالسلاسل والقيود في غياهب السجون ، واما انت ايها الوزير الامين ، فاني اشكر لك تيقظك وارجو ان تكون لي خير معين في فضح اسرار هـذه الخيانة ، لانتشال البلاد من الاخطار التي تحيق بها ،

روبرت : ان الحالة ياصاحب الجلالة لخطيرة دقيقة ، لان الاسطول

الحامل الجيوش والذخائر ، لايزال حتى الساعة في الثغور والموانىء لا يستطيع حركة بسبب هبوب العواصف واشتداد الانواء . اضف الى ذلك ان الجيش في قلق واضطراب ، ينذران بالثورة والفتنة ، وهو بذاهب الصبر الى نهاية القتال ليعود الى ذويه وهذا ما يحملني على الاعتقاد ان الانتصار متعذر الآن .

يفتاح : ياله من مصير مفجع مؤلم لانتصار باهر ذهبت ضحيته الوف من خيرة الشبان والابطال اترضون ايها الوزراء ان اعنو ذليلا ضعيفا بعد ان انتصرت عزيزاً قوياً ! اترضون بهذه الخاتمة الفاجعة لمليكم ولبلادكم ؟ كلا اني لست ارضى ولو صارت السماء ارضا . بالله عليكم ألا تتسامحوا بمجد باذخ شامخ وبتاريخ مجيد لامع وببلاد طيبة كريمة القت بمقاليدها اليكم ! اذكروا اني لا ازال منذ خمس سنين بعيداً عن عاصمتي هاجرا لعائلتي ، اخوض المعركة تلو الاخرى واقتطف ثمار نصر بعد الاخر ، فاذا

خانني الحظ مرة فليس معنى ذلك انه سيخونني اخرى ، وما الحظ سوى الثبات في ميادين القتال واقتحام الاهوال بقلب غير وجل ولا هياب .

وقلَّ من جد في أمر يحاوله
واستصحب الصبر إلا فاز بالوطر

فانتم اعواني وعليكم اعتمادي وارجو الا تخيبوا ظني فيكم والا تحرموني مرؤتكم وبسالتكم .

(الوزراء والضباط يستلون سيوفهم)

احد الوزراء . لقد آلينا ، على نفوسنا يا صاحب الجلالة ، لنذهبن فوراً الى ميادين القتال ، نسترخص اروحنا في سبيل بلادنا ودفاعاً عن مليكنا المفدى ، ولم يبق لنا غير امرين لا ثالث لهما ، اما الموت والهلاك واما الفوز والانتصار

يفتاح اشكر لكم استبسالكم وسا كون في طليعتكم ، فان تقدمت فالحقوني وان تقهقرت فاقتلوني ، ولا وزر عليكم

ولا حرج . وانتم ايها الالهة اعينوني فاذا تكرمتم علي بالانتصار فاني اعدكم بان اضحي لكم باول شخص من اسرتي يقع عليه نظري لدى عودتي الى بلادي مهما كان عزيزاً حبيباً .

(يدخل فيكتور بين جنديين)

المشهد الرابع

يفتاح ، روبرت ، الوزراء ، الضباط

يفتاح : (وقد وقع نظره على فيكتور) اليك عني ايها الخائن ، اغرب عن وجهي ايها اللئيم ، خذوه واتلو على مسامعه الامر الصادر جزاء خيانته .

احد الوزراء : (يتلو) لما كانت خيانة القائد فيكتور لدينا ثابتة فقد اصدرنا امرنا بتجريده من رتبته العسكرية ، ومن اوسمته كافة وقد اصبح منذ الساعة لا يعرف الا باسم الخائن الماكر ، وقد أمرنا بابعاده الى خارج البلاد ليذوق الذل والهوان . اما اذا تجرأ على انتهاك حرمة الوطن

بالبقاء فيه ، فانّنا نهدر دمه ونبيح لكل انسان ، مهما كان ،
ان يذيقه الموت الزؤام .

(يخرج الجميع من اليمين وبعد دقائق تدخل اميلي والعذارى من الشمال)

المشهد الخامس

اميلي ، العذارى

اميلي : يا للانباء المشوؤم ، فقد شاع في المدينة ان السفينة التي
أبحر عليها ولي العهد ، قد هبت عليها في عرض البحار
عاصفة هوجاء اغرقتها بدون ان ينجو أحد من ركابها ،
يا للمصيبة العمياء ! من يقو على ان يطلع تلك الام المنكودة
الحظ على هذا الخبر المشوؤم !

المشهد السادس

اميلي ، عذارى ، فيكتورين

فيكتورين : (تدخل) ما العمل يا حبيبتي اميلي ، فقد مضى زمن وانا
خالية من كل خبر عن مهجة فؤادي ادوار ، حتى عيل

صبري وخارت قواي ، فارجوك ان تهديني الى وسيلة أقف بها على اخبار حشاشة كبدي .

اميلي : هوني عليك وتصبري ، فلا بدّ ان يأتيك الفرج ، فقد بلغني ان احد القواد قد وصل هـذا الصباح ، وهـا اني ذاهبة لاستقصي الخبر منه .

(تدخل فتاة وتسلم فيكتورين كتابا)

المشهد السابع

فيكتورين ، ست فتيات

فتاة : يا صاحبة الجلالة لقد اتى اليوم قادما من المعسكر العـام أحد القواد وهو يحمل اليك هذا الكتاب من جلالة الملك.

فيكتورين : (تتناول الكتاب وتتلوه بصوت عال .)

عزيزتي فيكتورين

مهما طال الفراق وشط المزار فاني مقيم على عهدك صادق في مودتـك كما لو كنت بالقرب منـك . واذا كانت

مصالح الامبراطورية حكمت عليَّ بفراقك فان تمثالك لا يزال ماثلا امام عيني ، اينما كنت وكيفما توجهت . لقد انصرف الحظ عني برهةً ، ويؤلمني جداً ان اخبرك بالخسائر التي منيت بها جيوشنا ، واني ارغب اليك ان تعقدي فوراً مجلساً خارق العادة تطلبين منه حشد القوات من اطراف البلاد ، لتبادري وتوجيهها مع عددها وذخائرها الى ساحة القتال . لقد ضعف الان املي بالاجتماع بك ولكني ارجو ان اخوض بهذه القوات الجديدة معركة حاسمة يبسم لنا فيها الظفر ، فاعود اليك مكللا بالمجد والسؤدد لاتمتع واياك بثمار الانتصار اللذيذة . واذا حدث وخانني الحظ فاني اكل اليك العناية بولديَّ : بريجيت وادور حرستكم جميعاً الالهة .

يالهول المصائب والنكبات ، الملك في ازمة ، والملك في ضيق وشدة وادوار تائه في البحار ! الهي كن انت عوني في شدائدي . (تدخل اميلي)

المشهد الثامن

المذكورون ، اميلي

اميلي : سيدتي ، لقد قامت الفتنة في المدينة واندلعت نيران حرب اهلية ، وتدفق الاوباش الدهماء على القصر واحدقوا به من كل جانب وهم هائجون ومائجون ينادون طالبين وقف رحى القتال . وقد أثرت هذه الجلبة والغوغاء في بريجيت فوقعت مغشياً عليها ، فبادرت واعطيتها المنعشات حتى عاد اليها وعيها وهي الان تلح بحضورك اليها .

فيكتورين : وامصيبتاه ! لقد ضاقت عليّ الارض برحبها ، اللهم ماعدت اتمالك من الكرب والجزع ، ارحمني واسرع الى اغاثتي فانت ارحم الراحمين واكرم المغيثين !

(يسقط الستار)

الفصل الثالث

المشهد الاول

قائد حبشي ، ادور ، اسيت

(يرفع الستار عن احدى ردهات قصر ملك الاحباش)

القائد : ما قدم بكما هذه البلاد وما شأنكما فيها ؟

اسيت : سيدي ، لقد هبت علينا عاصفة شديدة في عرض البحار، أغرقت سفينتنا . وقد قيض لنا حسن طالعنا خشبة تعلقنا بها ، فاذا بالامواج تقذفنا الى هذه البلاد الجميلة ، ونحن لاعهد لنا بها قبل الان ، وجل ما نرومه ان نتمكن من مواصلة رحلتنا إدركا لغايتنا .

القائد : اني لمرتاب في امركما ، ولذا أسالكما ان تمكثا هنا ريثما أحدث جلالة الملك بشأنكما . (يذهب)

المشهد الثاني

ادوار ، اسيت

ادور : يا لغباوتي ، أما كان الاولى بي ان أنقاد لنصائح والدتي ولنصائحك ايضا انت ، يا اسيت ، لقد عرضت نفسي للبلاء ، فاستهدفت لهذا الذل والشقاء ، فقد عصيت أوامر احن الامهات واقدمت على ما هو فوق طاقتي ، وها اني الان اكفر عن معصيتي في بلاد غريبة لا اعرف حقيقتها ، ولربما كان مليكها من اعدائنا ويسره جداً ان يتخذني رهينة يساوم والدي عليها .

اسيت : لست اريد الان ان ألومك يا ادور ، فكفاك ما حل بك من قلق وهوان ، وانا أود ان يكون لك ما صار اليه حالك عبرة تعتبر بها في مستقبل حياتك ، فانت ياعزيزي لا تزال في مقتبل العمر ، ولا بد لك من امثولات قاسية ليكمل ادبك وتزيد خبرتك ، فالمصائب والويلات خير

مدرسة للشبان والرجال . فخفض عليك ولا تجزع وليكن لسان حالك ما قال الشاعر :

تنكر لي دهري ولم يدر انني
أعز واحداث الزمان تهون
وبات يريني الخطب كيف اعتداؤه
وبت أريه الصبر كيف يكون

ومتى اجتمعت يا ادور بالملك ، قصَّ عليه واقعة حالك بكل رصانة وبدون ان تخفي عنه الغاية التي غامرت في سبيل إدراكها ، فانما انت مغامر في سبيل شرف باذخ والملك ، طيب الفؤاد ، نبيل الاخلاق ، ولا بدَّ ان تأخذه العزة والمرؤة فيساعدك على بلوغ مناك .

ادور : يالبسوء حظي ، فقد اصبح املي ضعيفاً بالعودة الى وطني ومشاهدتي اهلي ، وسوف لا يذوق والدي لذة رؤيته اياي الى جانبه لدى عودته ظافراً مكللا بغار المجد

والانتصار . آه من الزمان ، فقد حكم عليّ بان افارق
والدي قبل ان أملأ عيني من رؤيته العذبة . ترى هل خطر
لك يا احن الاباء وأرقهم ما انا فيه الان من محن
وويلات ! وأسفي عليك يا امي ، فلربما بلغك خبر غرقي
واني لا تمثلك الان ، وقد قرحت الدموع جفنيك ،
وذهبت برونق خديك ! ما اقساك ايتها الاقدار ، فقد
وعدت والدتي بأن أعود اليها بعد ستة أشهر على الكثير ،
وها اني الان عوضا عن ان أفي بوعدي ، اتيه في هذه
البلاد النائية ، لا معين لي ولا مجير ! اني أرى القضاء
سيفاً مصلتا فوق رأسي . فلنمت ياعزيزي أسيت ، فلا
مهرب لنا من القضاء المبرم !

اسيت : ان النكبات يا ادور متى استحكمت حلقاتها فرجت
والمصائب متى توالت تولّت . واعلم ان الجو مهما كان
مظلما ملبداً بالغيوم ، فان المرء متى حدق نظره في السماء
ينتهي بان يرى فيها نجما مضيئاً . ونحن ايضا مهما ضاقت

بنا الدنيا فلا بد من ان يأتينا الفرج من حيث لا ندري ولا نعلم . فاعتصم بالصبر واياك ان تجزع واذكر انك لا تستطيع ان تبلغ المعالي والامجاد ما لم تقتحم الشدائد والاهوال :

لا يمتطي المجد من لم يركب الخطر
ولا ينـال العلى مـن قـدم الحذر

واياك ان تنسى يا عزيزي ادور ان اباك يخوض الحروب والمعارك ، يشجعه على خوضها تعليله النفس بان يكحل عينيـه برؤيتك ورؤية والدتك وشقيقتك وهـذا يكفي ليشد عزيمتك ويقوي ساعدك .

المشهد الثالث

الملك ، ادور

الملك : (مخاطباً ادور) من تكون ايهـا الشاب وماذا قـدم بك الى هذه البلاد ؟

ادور : اني ، يا صاحب الجلالة المعظم ، ابن الملك يفتاح صاحب الشهرة الواسعة والمملكة العزيزة الجانب ذات الاطراف النائية . اما سبب قدومي الى هذه البلاد ، فهو ان والدي جرّد حملة لتأديب الامراء نوابه لعصيانهم ورفضهم دفع الجزية المفروضة عليهم . وها قد مضى على والدي خمس سنين منهمكا في اخماد نار الثورات والفتن ، ينجح مرة ويخفق اخرى ، وقد انقطعت اخباره منذ حين ، فشق ذلك على والدتي وسلط عليها الحزن والكآبة . وقد أثرت فيّ حالتها اشد التأثير وما عدت اطيق ان اراها في لجة الاحزان فاستأذنتها في السفر ، تقصيا لاخبار والدي ، فمانعت جهد استطاعتها ، ولما راتني مصراً على عزمي لا ارجع عن قصدي ، رضيت بسفري وعهدت الى هذا القائد الامين بان يرافقني ليسهر على امني وراحتي ، فركبت واياه سفينة سارت بنا على رأس اسطول ضخم من العتاد والجنود ، ولكننا ، ولسوء طالعنا ، ما كدنا نجتاز مجاهل بحر الشمال ، حتى ثارت علينا عاصفة قوية

حطمت اسطولنا وغرقت عتادنا وجنودنا ولم أنج من
الهلاك الا بفضل رباطة جأش هذا القائد الباسل ، فقد
تعلقت واياه بصاري احدى السفن ، وبعد ليلة ليلاء ،
قضيناها في ظلام حالك وبرد قارس ، والارياح تتلاعب
بنا والاموج تتقاذفنا ، اذا بنا على شاطىء بلادكم المضيافة
فانتعشت منا الامال وتشددت العزائم ، وها اني بين
يدي جلالتكم رهين اشارتكم .

الملك : اعلم ايها الشاب ان الموت الزؤام عاقبة كل من تسول
له النفس دخول هذه البلاد ، على ان ما اتوسم فيك من
نبل ومرؤة واقدام كل ذلك أثر في اشد التأثير وأحلك
من قلبي المكان الرفيع ، فطابت نفسي لا نزالك من
بلادي على الرحب والسعة ، فاطمئن بالا وطب نفساً .
واني لاراك تعبا منهوك القوى، مما نالك من ذعر واهوال
فاذهب الان مع رفيقك وخذ نصيبك من الراحة ،
وسوف اجتمع بك وبه في الغد .

(يخرجان ويدخل من الناحية المقابلة قائد ومعه فيكتور)

المشهد الرابع

الملك ، ستة جنود سود ، القائد ، فيكتور

الملك : ومن يكون هذا الغريب ايضاً ؟ وما شأنه عندنا ؟

القائد : مولاي لقد اقتربت من الشط ، منذ ساعتين سفينة عليها بعض الجنود ، فالقوا هذا الرجل على الرمال مقيداً بالحبال ثم عادوا من حيث أتوا .

الملك : من انت ايها الرجل وما وراءك ؟

فيكتور : اني يا صاحب الجلالة احد قواد جيوش الملك يفتاح وقد خضت تحت لوائه معارك عديدة كان النصر فيها حليفه ، وها مضى علي خمس سنين وانا اتبع له من ظله وأطوع من بنانه ، ومنذ حين دعاني وعهد اليّ بايصال كتاب الى الملكة فيكتورين في العاصمة ، وبينما انا أتأهب للرحيل اذا بأحد وزرائه المدعو روبرت يزورني ويتودد اليّ مظهراً كل ولاء واخلاص ، ثم يسألني ان اساعده في

حاجة له، لم يرد ان يفضي بها اليَّ قبل ان اقسم له ايماناً مغلظا باني لا ابوح بها لاحد على الاطلاق . ولما كنت اعهد في هذا الوزير صدق الطوية وصفاء النية، اقسمت له بالايمان المحرجة لاحفظنَّ سره وعند ذلك كشف لي عما ارتكبه من غدر وخيانة وذكر انه أطلع الاعداء على خططنا الحربية تلقاء خمسين الف دينار، نقدوه اياها فوراً، واذ علم اني متوجه الى العاصمة، احمل رسالة من الملك الى الملكة، رجاني ان أبذل قصارى جهدي في اثارة الفتن والاضطرابات والتوسل بكل وسيلة ممكنة للحوؤل دون ارسال ما يطلبه الملك من نجدات . وهذا ما تعهد به للاعداء . وفي الوقت نفسه قد توعدوه بأن يفشوا سره للملك ان هو لم ينقد لاوامرهم ويساعدهم على تنفيذ خططهم . اما انا يا صاحب الجلالة فقد هالني جدا ما باح لي به واستنكرته أشد الاستنكار، واول خاطر تبادر الى ذهني ضرورة فضح حقيقة هذا الماكر الخائن، ولكني كنت، ويا للاسف، سبقت وتقيدت باحرج الايمان،

فأخذت اوبخه وابين له سوء فعلته وما سيلحق بلاده من ذل وعار وبلاء بسبب هذا المكر والبهتان ، فتظاهر لاول وهلة انه انتصح بكلامي ورجع عن غيه ، وختله ، ثم ألح عليّ راجيا اياي كل الرجاء ان الازمه ، لا ساعده على اقالته من عثرته ونجاته من ورطته ، وتعهد لي بان يرسل كتاب الملك الى الملكة مع اخص اصدقائه ، فوثقت به عاني استطيع ان أبعد عن البلاد شرّ الاهوال والنكبات . فسلمت اليه الكتاب الملكي وسرت الى قرب معسكر الاعداء ، حيث وقفت انتظره بحسب الخطة المرسومة بيننا . ولم يدر في خلدي انه سوف يخفر ذمتي ويكيد لي ويعمل على هلاكي ليأمن افتضاح سر خيانته ويظل مسادراً في مكره وخداعه والعبث في بلاده . وقد كان كل ذلك ، ولسوء الطالع ، فقد سعى بي في مجلس الوزراء المعقود تحت اشراف الملك نفسه واتهمني بما انا منه براء ، فأمر الملك بتجريدي من اوسمتي ورتبتي ونفي الى خارج البلاد ، وها اني الان امام جلالتكم

لأني اخلصت لبلادي وحاولت جهدي ارجاع ذلك الماكر الخائن عن مكره وغدره .

الملك : يا له من اتفاق عجيب بل من سر غريب ! اعلم يا هذا اني محقق في امرك ، فان ظهر لي صدق قولك ، أعدتك معززاً مكرماً الى بلدك ، والا انزلت بك اشد العقاب .

فيكتور : يا صاحب الجلالة ، انما وصلت الى هنا لأني ابيت الخيانة وضننت بشرفي واعتباري ان يدنسا ، واني اوثر الموت على الخداع والمكر .

(يدخل القائد اسيت)

المشهد الخامس

الملك ، ستة جنود ، فيكتور ، القائد ، ادور ، اسيت

الملك : (مخاطبا ادور واسيت) هل تعرفان هذا الرجل ؟

اسيت : (يدنو من فيكتور ويقلب فيه نظره) كيف لا اعرفه ؟

انه من اشهر قوادنا ، الست صديقي فيكتور ؟ ما الذي اتى بك الى هنا ؟ ايتها الالهة هل نحن في يقظة او منام ؟ من كان يخطر على باله ان الاقدار سوف تجمعنا في هذه الانحاء ؟ (يتعانقان ثم يقول لادور) عزيزي ، دونك احد قواد ابيك الاوفياء ، وكأني بالقدر قد ساقه الى هنا ، ليوافيك باخبار والدك ، شكراً لك ، ايتها الالهة على هذه المنة ، فقد بدا نجم سعدنا يلوح .

ادور : (مخاطبا فيكتور) ناشدتك باسم الالهة ان تصدقني الخبر، اما يزال والدي حياً واين هو الان ؟

فيكتور : انه ، والحمد للالهة ، حي معافى لا يفتأ يذكرك انت ووالدتك وشقيقتك .

الملك : اشكر الالهة على هذا الاتفاق ، فلقد هيأت اجتماعكما عندي لا تحقق صدقكما . وها اني اقراراً بحسن صنيع الالهة ابادر الى مساعدتكما . عزيزي ادور ، كنت اتمنى من صميم قلبي ان ابقيك عندي ، لما لمسته فيك من نبل

واباء فتكون ولدي وولي عهدي ولكني متيقن ان مرؤتك تأبى عليك البعاد عن بلادك ، كما انك ، ولا ريب ، عائد الى ابيك على جناح السرعة لتساعده على العودة الى امك . ومع انه يعزّ عليّ جداً ان افارقك ، بعد ان رأيت من مكارم اخلاقك ما رأيت ، فاني اوثر ان اضحي بكل عزيز في سبيل تحقيق امنيتك وجمعك بشمل والديك وأرى من واجبي ان اجهزك بخمسين الف جندي تسير تحت امرتك لتستعين بها على اعدائك . واسأل الالهة ان تكلأك بعنايتها وتجمعك بوالديك في اقرب وقت لتقر بك عينهما ويسر قلبهما .

اما انت ايها القائد النبيل فقد سرني ما رأيت من اخلاصك لمليكك ، وساصحبك بكتاب الى جلالة الملك يفتاح اشرح له فيه ما خبرته فيك من علو همة وكرم اخلاق واطلب منه ان يجازيك على وفائك وامانيك خير الجزاء .

ادور : اني ، وايم الحق ، لأعجز من ان استطيع القيام بأعباء

الشكر لجلالتك ، وخير ما ارجو من الالهة ان تعجل اجتماعي بوالديّ لا شرح لهما شيئاً من آيات معروفك .

الملك : (لاحد القواد علناً) اقرأ هذا الكتاب .

من شرتاح مالك الاحباش الى يفتاح مالك البرين والبحرين

عزيزي الملك يفتاح

احييك تحية المودة والاخاء ثم ابدي لك : ان الاقدار قد ساقت الى بلادي احد قوادك المدعو فيكتور ، فلمست فيه من النبل والوفاء ما حملني على ان اهنئك بهذا الجندي الامين راجيا ان تحله من بلاطك في المكان الذي هو به جدير ، جزاء اخلاصه وايثاره العذاب والنفي على الخيانة والغدر ، كما اني في الوقت نفسه اسالك ان تنزل اشد العقاب بالمدعو روبرت لخيانته عهدك وبلادك ، فنكل به اشد التنكيل وزجه في غياهب السجون ليذوق ثمرة ما جنته يداه .

اما ولدك ادور فقد كان اعجابي بصفاته وشمائله النادرة شديداً جداً ، ولذا جهزته بخمسين الف مقاتل واسرعت، مع شديد تعلقي به ، في ارساله على رأس هذا الجيش ليعمل على عودتك الى بلادك سالماً ، فيتمتع برؤيتك مستوياً على عرش ابائك واجدادك العظام الذين دوخوا البلاد وكتبوا اجمل صحائف العز والمجد . وثق ان صلات المودة والولاء ستبقى وثيقة بيننا مدى الايام واني مستعد في كل زمان لشد ازرك والسلام .

الملك : والان سيرا على بركة الالهة رافقتكما السلامة في الحل والترحال .

(يخرج الجميع وتدخل من الجهة المقابلة بريجيت واميلي)

المشهد السادس

اميلي ، بريجيت

اميلي : كيف حالك يا ولدي بريجيت، وهل استعدت تمام عافيتك

بريجيت : اني احسن من ذي قبل ؛ وجـل ما هنالك ضعف يسير
لا ازال اشعر به .

اميلي : فعليك ، والحالة هذه ايتها الحبيبة ، ان تراعي صحتك
بتجنبك كل ما يزعجك ويؤثر في هنائك .

بريجيت : ذلك ما سأحاوله جهدي ، ولكن أنى لي ان اهـدأ بالاً
واطيب نفساً ، ووالدتي غائصة في لجج الاحزان والالام
وقد زادها قلقاً وحزناً انقطاع اخبار ادور اخي . واني
اخشى ان يكون قـد اصابه مكروه ، وهي تفكر فيـه
ليل نهار مستسلمة لاشنع الهواجس والافكار ، ومنذ
يومين حدث لها ما آلمني أشد الالم ، فقبل ان نغفو في
غرفتنا أخذ الدمع ينهمر سخيناً من مقلتيها وطفقت تصرخ
مستجيرة : الهي ابق لي على فلذة كبدي بريجيت ، لا
تسمح ان تنزع من يدي ، فهي عزائي وسلوتي ثم خارت
قواها ، فسقطت بدون حراك . فاخذت انضحها بالماء
وبالمنعشـات ولمـا استفـاقت ، طفقت تسكـن روعي

وتحرضني على ان آوي الى سريري . ففعلت ، ولما لاح الصباح بادرت اليها ، فرأيتها شاخصة النظر منهوكة القوى ، فدعوتها الى جولة في الحديقة ، فسارت متكئة على ذراعي بضع خطوات ثم ارتمت لا تستطيع حركة فحملتها الى غرفتها ، وقد برحت بها الحمى ، ولم تزايلها الا بعد اربع وعشرين ساعة ، وهي الان احسن من ذي قبل . فكيف استطيع يا عزيزتي ان أسري عني ، وانا اشاهد والدتي سقيمة عليلة كئيبة حزينة ؟

املي : لا اكتم عنك قلقي مما انت فيه ، ولكننا يجب ان نصبر ونتجلد ، حتى لا نهن ونتضعضع ، وها اني ذاهبة الى والدتك لا بذل مجهودي في تشديد عزيمتها وانعاش همتها .

(تذهب)

المشهد السابع

بريجيت ، فتاة

الفتاة : (تدخل الفتاة وبعد ان تحيي تقول) : بشراك سيدتي ،

فقد عاد والدك سالما ، وما هي إلا بضع دقائق حتى يدخل العاصمة على رأس جنوده ، فقد بلغت طلائع الجيوش ضواحي المدينة والجماهير تتدفق كالسيل لملاقاة موكب الملك .

بريجيت : يالها من بشرى سعيدة ، اني مبادرة الى والدي .

(وقبل ان تخرج يدخل يفتاح)

المشهد الثامن

بريجيت ، يفتاح ، وزراء ، جنود

يفتاح : تقع عينه على بريجيت فيضطرب مقلباً نظره ليشاهد شخصاً آخر فلا يجد ، فيصرخ متألما)
ويلاه ! ما هذه المصيبة .

بريجيت : (تبادر لتعانقه) والدي ! مالي اراك كئيباً ، كمداً ! ترى ماذا دهاك ! وماذا يؤلمك هذا الالم الشديد ، فقد عدت ، والعود احمد ، ورأيت امرتك وابنتك سالمتين

ويذوبان شوقاً اليك ، قل لي ما هو ذنبي حتى تميل عني ،
اني لا اطيق هذا الاعراض منك في حين أتقطع فيه
شوقا اليك .

يفتاح : (يتنفس الصعداء) ايها الالهة الظالمون ما افظع الضحية
وما أعظمها ! اجل لقد سألتكم الانتصار على ان اضحي
لكم باول شخص تقع عليه عيني ساعة وصولي ظافراً الى
عرشي ، وها انكم تحلون ابنتي بريجيت في طريقي
لتكون ثمناً لنصري وفوزي ! الا اني اؤثر ان اعود الى
ساحة القتال لاسقط في ميدان الجهاد على ان اضحي
بوحيدتي ، دعوا ابنتي تعيش وخذوني عوضا عنها !
(ويستل سيفه ليقتل نفسه فيحول الوزراء دونه ومايروم)

احد الوزراء : خفض عنك ، ايها الملك ، فلن تعدم وسيلة تبر بها
بوعدك للالهة وتحافظ في الوقت نفسه على حياة بريجيت
ومما لاشك فيه ان نذرك انما ابرزته في ساعة نزق ويأس
وأن الالهة لاكرم من ان تنعم عليك بالنصر مشترطة

عليك ما يغاير مبادىء الانسانية والطبيعة (تدخل اميلي)

الفصل التاسع

المذكورون آنفا ، اميلي

بريجيت : لبيك يا ابي ، افعل بي ما تريد فاني مستعدة لان اموت بطيبة خاطر اذا كان موتي يهدىء غضب الالهة وغضبك ايضاً .

يفتاح : بنيتي اي جريمة ، ارتكبتها حتى تستحق هذه الاخرة المؤلمة ! كلا اني لا اريدها لك ولو قطعوا لي حبل الوريد ، واذا كان من مجرم اثيم ملتزم بالتضحية والتكفير ، فهو انا ولست انت (ويستل سيفه فيعترضه وزراؤه) .

اميلي : ما هذا المصير ياصاحب الجلالة ، أتراك تنتصر في ساحات المعارك والحروب لتنكسر في ساعات المصائب والخطوب الا تجلد وتصبر ، فالملكة في ضعف

وهزال شديدين لا تقوى معهما على مشاهدتك في هذا التضعضع والاكتئاب ، ومع انها تتضور من الحمى قد هرعت لملاقاتك ، تجلد ولا تجزع . استحلفك بالالهة إلا كتمت عنها حقيقة نذرك الاليم .

(يسقط الستار)

الفصل الرابع

المشهد الاول

يفتــاح ، عشرة جنود ، أربعة وزراء ، روبرت

يرفع الستار في قصر الملك يفتــاح

يفتاح : ويلاه ويا مصيبتـاه ! لقـد قضي الامر ودنت ساعـة التضحية والتكفير . ترى ! ماذا جنيت حتى استأهلت هـذا العقاب المرير ! ما العمل ! أأضرب بالشرائـع والنواميس وأداب الملوك عرض الحائط ام اهرق دماً ذكياً ، دم حشاشة كبدي ! كيف اقـدم على سفك دم ابنتي بفظاعة تقشعر لمجرد ذكرها الابدان !

أما كفى ايتها الالهة ما عانيته خمس سنين من اهوال وحروب تشيب لها الاطفال ، حتى أرى بأم عيني بنيتي تموت ذبحاً بيدي ! يالشقائي ! أأعود الى بلاطي منتصراً

لا شاهد دم ابنتي منهدراً

اتذهبين يا بنيتي بريجيت ضحية طيشي وغضبي !

أأنجو مرة من الحرب لاموت الف مرة في السلم !

كيف اطلع يابريجيت والدتك على ما انا مقدم عليه! يالسخرية الاقدار، لقد طفت البحار وقطعت البراري والقفار لاقضي عليك يا فيكتورين بالموت غماً وكمدا ! فيا ايها الجنود هلموا واغمدوا سيوفكم في قلبي !

وانت يا ايتها السماء اهبطي على رأسي واسحقيني ويا ايتها الارض انشقي وابتلعيني ! اجل اني اوثر افظع ميتة على رؤية ابنتي بريجيت جثة هامدة .

(تدخل الملكة فيكتورين فيبادر يفتاح الى معانقتها)

المشهد الثاني

المذكورين ، فيكتورين .

يفتاغ : ما لي أراك ايتها الحبيبة ، شاحبة اللون خائرة القوى !

بربك قولي لي ماذا دهاك واي سهم رماك حتى ذبل محياك وزال رونق بهاك ! ان فرحي بعودتي ظافراً لا يوازيه اغتمامي برؤيتك فريسة العلل والاوصاب ! لقد قضيت خمس سنين ، اذوب شوقا اليك وانتظر بذاهب الصبر حلاوة لقياك ، فما هذه الحالة التي تقابلينني بها ؟ ان الانتصارات التي احرزتها والاعداء الذين سحقتهم ، كل ذلك لايسرني بقدر ابتهاجي بان أراك سعيدة قريرة العين . انت شريكتي في حياتي ومقاسمتي لذة انتصاراتي ، وسروري لا يتم إلا بسرورك ، ألا بربك اخبريني ماذا حلَّ بك .

فيكتورين : اني عاجزة عن وصف عظم سروري برجوعك ظافراً ، ومع كل ما انا عليله من ضعف وهزال ، لم يطرق مسمعي نبأ وصولك ، حتى جمعت ما بقي لي من رمق الحياة واندفعت بسرعة الى لقائك لاكون بالقرب منك ، وها قد تمَّ سروري بك ولا شيء يعكر صفاء هنائي الان

سوى انقطاع اخبار ولدنا ادور ، فهل لديك بشائره
فيطفح كيل سروري .

يفتاح : ماذا تقولين يا فيكتورين وهل ادور غائب عنك واين
ذهب واين يكون الان ؟

فيكتورين : هو غائب ولا علم لي بمكانه ، ولكني واثقة ، من ان
الله سبحانه سيتم انعامه علينا بان يعيده الينا في اقرب وقت
غانما سالماً . اما سبب غيبته فهو انه حينما رآني في حزن
وألم شديدين لبعادك وانحباس اخبارك ، اصبح في شغل
شاغل وما عاد يهمه سوى الوقوف على اخبارك ، رغبة
منه في ازالة قلقي وتسكين اوجاعي . فزين له بعض
اصدقاؤه الاغتراب للوقوف على اثارك واخبارك ،
فحاولت ارجاعه عن قصده ولكن عبثا ، واستحلفته
بحياتك الغالية ولكن باطلا ، فلم يثن عن عزمه وحينئذ
ارفقته بالقائد أسيت ووكلت الى هذا الصديق الامين
الاعتناء به والسهر على راحته ، وها قد مضى ثمانية اشهر

واخباره منقطعة وانا اعلل النفس بأمل عودته واياك ، وما اضيق العيش لولا فسحة الامل . ولا تسل عن حزني وقلقي حين قرأت كتابك ولم اقرأ فيه شيئاً من اخباره . فقد اوشك ان يخيب املي بعودته وتحققت انه لم يجتمع بك بل لا يزال حتى الان تائها في عرض البحار يزرعها شرقا وغربا ليقف على اخبارك هذه . هي مصيبتي وبليتي العظمى انقطاع اخبار ادور عني ، وقد كرهت الحياة واصبحت لا يطيب لي سوى البكاء والنحيب (تنتصب مرتعشة) ادور حبيبي ! مهجة فوادي ادور اين انت الان ! اجب والدتك المسكينة ! الا تسمع بكاءها الا ترق لمصابها .

المشهد الثالث

المذكورين ما عدا فيكتورين

يفتاح : واحر قلباه منك يا بريجيت ويا لهف نفسي عليك يا بنيتي ! ايتها الالهة ما هي الجريمة التي ارتكبتها حتى اصبح هدفا

اسهام المصائب والخطوب ! اجـل لقد اذقتموني لذة الظفر والانتصار ولكنكم جرعتموني امر كوؤس الالم والعذاب ! وأي عذاب اشد من ان اضحي بابنتي وفلذة كبدي ! يالـكم من آلهة قساة ، قدّت قلوبها من صخور الجبال . أأنعم لحظة لاشقى ابداً ! فيا ايها الوزراء ويا ايها القواد والاصدقاء رثوا لحالي فما عـدت اطيق الحياة ، وانت يا روبيرت مشيري الامين دلـني على طريقـة انجو بها بنفسي من هذه الويلات والاهوال .

روبيرت : تجلد لتري الاعداء انك لا تتضعضع لريب الزمان . سلم امورك للالهة ودعني اعمل ما في وسعي لا نتشالك من هـذه الورطة . وها انا ذاهب الى برهام رئيس الكهنة ، علني اهتدي واياه الى وسيلة فيهـا سلامة حياة بريجيت . وثق يا مولاي اني في الوقت نفسه لن اتوانى في بث العيون والارصاد ومراسلة الملوك والامراء لاتمكن من استطلاع اخبار الحبيب ادور .

يفتاح : اشكر لك ، ايها الوزير الامين ، اخلاصك واهتمامك بولدّي ، واثني على حسن ادارتك لشوؤن مملكتي ومن دواعي حسن حظي انك وزيري ومستشاري في هـذه الظروف الدقيقة ، وها اني اعهد اليك باتخاذ كل الوسائل الآئلة لنجاتي من الهوة التي ارتطمت فيها ، كما اني في الوقت نفسه اضع في يدك خاتمي (يسلمه الخاتم) وأكل اليك السهر على شوؤن البلاِد لا تمكن من الاستجمام والراحة من هول ما رأيت وقاسيت .

المشهد الرابع

روبرت وحده

روبرت : لقد تحققت ، والشكر للالهة احلامي ، ونلت مرامي ، وما عاد يخيفني شي . ان اخشى ما كنت اخشاه هو ان ينفضح امري فيلحقني الذل والعـار وافقـد كل مـكانة واعتبار . ولكن الامر اتى بعكس ذلك ، فقـد علت منزلتي وعظم نفوذي واصبح الحـل والربـط بيدي ،

اتصرف كما اريد واعمل ما يحسن لي ويطيب .

المشهد الخامس

روبرت ، رئيس الكهنة

رئيس الكهنة : اهديك السلام ايها الوزير الهمام ، ويسرني ان ابلغك ان برهام كبير الالهة راض عنك مسرور منك .

روبرت : (يقبل طرف ثوب الكاهن ويده ثم يجلسه على كرسي) ويقول شكراً لك يا سيدي الجليل واني لسعيد جدا بهذا الرضى الثمين .

رئيس الكهنة : لقد بلغني ايها الوزير العزيز ، ما نذره الملك ابان اشتداد المعارك والحروب ، وهو انه ، اذا انعمت عليه الالهة بالعودة ظافرا ، لن يتردد في ان يضحي للاله برهام بأول شخص يأتي لملاقاته دقيقة دخوله الى قصره ، ولما كانت ابنته بريجيت اول من بادر الى ملاقاته ، ترتب عليه ، براً بوعده ، ان يضحي بها . وقد وقع علي هذا

الخبر المشوؤم وقوع الصاعقة ، فاني اعلم حق العلم **ما**
اتصف به الملك من مرؤة واخلاق رفيعة سامية حببته الى
الرعية كبيرها وصغيرها . وقد اعملت الفكر طويلا عاني
اجد ما افتدي به هذه الضحية البريئة ، فقضيت ساعتين
ساجدا امام الاله براهام ونحرت نعجتين في بياض الثلج
واستشرت احشاءهما . ثم عمدت الى مؤلفات الالهة
والعلماء اقلبها صفحة صفحة وبعد المطالعة الطويلة واحكام
الروية رأيت في مؤلفات العلامة برام هرام انه يمكن
الاستعاضة عن تضحية بتضحية اخرى . زد على ذلك ان
من التقاليد المرعية ان الصنم متى فتح عينيه كان ذلك دليلا
ساطعا على انه عفا عن الضحية . وما كدت اغلق مؤلف
العلامة المشار اليه حتى سمعت صوتا ينادي قائلا : العفو !
العفو ! وحينئذ سرى الهم عني وبادرت الى الملك اخبره
بما علمت وشهدت .

روبرت : اني لا خشى عليك يا سيدي مغبة هذه الفتوى واخاف

اقتصاص الالهة منك وثوران الشعب عليك ، فلا بد
انهم ناسبون احكامك هذه الى جائزة سنة انعم الملك
عليها بها ، تلقاء تخليصك ابنته من الموت في هيكل الاله
برهام . فلا مناص لك ، والحالة هذه من ان ينقم عليك
كبار المملكة وصغارها لدوسك الشرائع وضربك
بالقوانين واقدس التقاليد عرض الحائط ، واني اشير
عليك، حباً لخيرك، ان تدع الامور تسير سيرها الطبيعي .
اني لست اقل منك اخلاصاً للملك ، واروم من صميم قلبي
ان اخلصه من الورطة التي وقع فيها . ولكني في الوقت
نفسه اخاف غضب الالهة ونقمة الشعب . وقد نصحتك
علماً مني بعواقب الامور فاختر لنسك مايحلو .

رئيس الكهنة : اشكر لك نصائحك واسأل الاله برهام ان يجزيك
عني خير الجزاء .

روبرت : اني اعلم ايها المفضال ما اتصفت به من علم وبر وصلاح
ولذا لست ارتاب في ان الالهة قد جمعتني بك لارشدك

الى سواء السبيل ، وأظن ان الاولى بك ، وقد حدث ماحدث ، ان تبادر الى الملك وتبين له بكل اخلاص وبدون محاباة انه من اقدس واجبه ان يفي بنذره في اقرب وقت . اما الان فاني استمدت بركتك وارجوك ان تقبل مني خمسة الاف رأس غنم عربونا لرضاك عني .

المشهد السادس

يفتاح ، وزراء ، رئيس الكهنة ، روبرت

رئيس الكهنة : لقد كان الاولى بي ياصاحب الجلالة ان اهنئك بعودتك سالماً وان اشكرك على ماأوليت البلاد والعباد من مجد واعتزاز بانتصارك على الاعداء . ولكن ، ماالعمل وقد اعلنت الالهة ضرورة اسراعك في وفاء نذرك ولذا اراني مضطراً ان اسالك ان لاتراعي إلامصلحتك وتبادر بكل سخاء واريحية الى ايفاء نذرك بتضحية ابنتك تفاديا لما لا تحمد عقباه من نقمة الالهة وغضبها الشديد .

يفتاح : ما حيلتي لقد ضاقت الدنيا في وجهي ! اتموت بنيتي

ضحية نزقي وطيشي ! يالك من والد شقي تعس ! كيف استطيع ان امزق مهجتي وحشاشة كبدي بيدي ولا أقضي حزنا وأسي ! كلا اني لن استطيع ذلك ! اناشدك يا رئيس الكهنـة ، باسم الصنم براهام وباسم الالهـة ان تقبلني ضحية عوضا عن ابنتي . لست اطلب منك عفوا بل حياة بحياة . ارث لحالي وسكن غضب الالهة . ومهما كان ذنبي عظيماً فان حلم الالهـة لا يزال اعظم . وانت ياروبير ألم تهتد بعدالى وسيلة تخرجني بها من هذا المأزق.

روبرت : ابها الملك العظيم اني لاشعر شعورك ، فاني والد مثلك . مصيبتك تحز فؤادي حزاً وقلبي يقطر عليك دماً . واني أود من صميم فؤادي ان اشاطرك بلواك ، ولكن انى لي ذلك وقد سبق السيف العذل وحمّ القضاء وليس منه بعد الان مهرب ! ان الالهـة اعطت والالهـة اخذت ، اجل ان الخسارة لجسيمة كثيراً والتضحية لكبيرة جدا ، ولكنك ستعوض عن ذلك بانتشار اريج فضلك في البلاد فتكون اجمل قدوة للعباد من اقاصي المملكة الى اقاصيها .

يفتاح : لم يعد في وسعي سوى ان انقاد مختاراً لامر الالهة . وعما
قريب تسير الضحية الى الهيكل لتكون ذبيحة مرضية .
ولكني اسألكم ان تمهلوني قليلا ريثما اهيىء فيكتورين
المسكينة والدة بريجيت الحبيبة لتجرع كأس هذه
البلية العظيمة . (الى هنريكوس) .

لقد عهدت اليك بهذه المهمة المؤلمة ، فعليك ان تتولى
احضار بريجيت خفية عن امها وبدون علمها .

رئيس الكهنة : هنيئاً لك ايها الملك الجليل ، انك لا تبارى في الفضائل
ولا تجارى في المحامد والمكارم ، وها اني ذاهب الى
الهيكل لا نتظر مع اجواق الكهنة قدوم الضحية .

(يخرج الجميع)

المشهد السابع

هنريكوس ، اميلي ، فيكتورين ، عذارى ، بريجيت

هنريكوس : ايتها الوالدة التاعسة ، لقد تهيأ كل شيء للاحتفال

يتقدمه الذبيحة البريئة ، وها ان الكهنة كافة ينتظرون
في الهيكل مع الشعب قدوم بريجيت للاشتراك بهذا
الاحتفال . وقد ارسلت انا في طلب بريجيت او بالاحرى
انما جئت لاساعدك على انقاذ هذه الفتاة الرائعة الخلق
والاخلاق من براثن وحوش كاسرة مفترسة ولا يسعني
إلا ان اصدقك الخبر مهما جرَّ عليّ من نكال وغضب .

فيكورين : سألتك بآلتهك إلا صدقتني الخبر وقلت لي لماذا ينتظرون
بريجيت في الهيكل . بما لي عندك من حرمة لتقولن لي
الحقيقة عارية عن كل تمويه وتزوير .

هنريكوس : دونك يا سيدتي الحقيقة بدون اقل مداجاة ، اني ابوح
لك بها مهما كلفني الامر : ان الكهنة والشعب ينتظرون
في الهيكل بريجيت لينحروها ذبيحة لبرهام ، ايفاءً لنذر
الملك زوجك ، فقد تعهد للالهة بان يضحي لها بأول
شخص يقع عليه نظره في قصره متى عاد ظافراً الى
بلاطه من وسوء طالع بريجيت انها كانت اول من التقى بها

فيكتورين : يا للفظاعة ويا لهول مصيبة تقشعر لها الابدان ! بريجيت
ابنتي الحبيبة تنحر وتقدم ذبيحةيالها من خاتمةمهولةلسلسلة
فواجع مروعـة ! الهي لقد سألت عبدك ابراهيم ان
يضحي بابنه اسحق ولكنك لم تسأل ذلك امه ساره ،
لانك تعلم ان ذلك يفوق احتمالهـا ، واليوم يطلب مني
هؤلاء الاشرار الكفار ان اضحي بابنتي فلذة كبدي !
انك يا الهي لارحم من ان تسمح بمثل هذه الوحشية
وارفع من ان ترضى بمثل هذه الذبيحة .
(الى هنريكوس)

بحقي عليك لتساعدني على انتشـال ابنتي من مخـالب
هؤلاء الائمة المجرمين . فقد اوشكوا ان ينشبوا فيهـا
اظافرهم وانت يا عزيزتي اميلي اندبي معي سوء حظي ،
تعالي وانظري مصابي وبليتي ، فكأني بك قد انتشلتني
من الموت لاجرع امر الكوؤس . اني استودعك مع
هنريكوس بريجيت ، بحياتكما حافظا عليها محافظتكما على
حدقة عينيكما ، ردا عنها كل غائلة ريثما اواجه الملك واطلعه

على ما يضمر له قواده الخونة ومن لف لفهم ، من شر وبلاء .

بريجيت : اماه ! اياك ان تسيئي الى والدي ، اني لا اتردد لحظة عين في ان اضحي بالنفس والنفيس في سبيل رضاه الثمين ولا ارضى ان يحزن ويتألم ولو صارت السماء ارضاً . ولا بد ان يكون على أحر من جمر الغضا حزناً عليّ وعليك ايضا فهو يحبنا حباً واحداً . وكأني به لم يرض بتضحيتي الا بعد ان اخفقت كل مساعيه في سبيل انقاذي . فاستحلفك بالله سبحانه إلا رعيت عهده وضحيت بكل رخيص وثمين في سبيل سلامه وهنائه ، واني مستعدة بكل طيبة خاطر لان اضحى إرضاء لأحن الاباء وجل ما اورمه منك الا تحزني وتكتئبي فكفاك ما اصابك وحل بك .

فيكتورين : إيهاً يا بريجيت ! كفاك هذيانا ! ما عدت اطيق استماع تخليطك وتهزارك . واصبح من اقدس واجبي ان ابوح

لك بسر طالما كتمته عنك حباً لوالدك ومراعاة لمكانته .
الا اعلمي يا بنيتي ان الالهة التي يعبدها ويسجد لها ابوك
هي آلهة كاذبة ، ضعيفة ، حقيرة ، لا قوة لها ولا سلطان على
الاطلاق . وان لا إله إلا الله وحده ، وهو ، سبحانه ،
وحده على كل شيء قدير وبكل تعظيم واجلال جدير .
وهو يميت ويحيي العظام وهي رميم . وانه ازلي كان في
الازل وليس لكونه زوال ويكون مع الابد وليس لبقائه
فناء وانا اعبده واسجد له منذ نعومة اظفاري في الصباح
والمساء ، فاعبديه واسجدي لهمعي واسأليه فهو تباركت
اسماؤه مستجيب الدعوات ومقيل العثرات .

بريجيت : اذا كان الامر كما تقولين ياأماه ، فاني اياه اعبد وله وحده
اسجد (تسجدان معاً) .

فيكتورين : (تنهض بريجيت وتضمها الى صدرها وتقول) لقد
اوليتني يا ولدي سعادة لا توصف بكفرك بالا صنام تعالي
نصلي معاً (تركعان) رباه نج بريجيت من هذه الغائلة

كما نجيت الفتيان الثلاثة من آتون النار! الهي! افتح عيني ابيها ليرى الحق والنور ويمجدك ويعبدك كما نمجدك نحن الان ونعبدك .

(يدخل الملك مع الوزراء والجنود)

المشهد الثامن

المذكورون ، يفتاح ، وزراء ، جنود

يفتاح : ماذا ارى واي شيء جرى ، ولمَ هذا البكاء والعويل ، العلك ياهنريكوس نكثت عهدي واطلعت الملكة على قصدي .

بريجيت : سكن روعك يا ابتِ ، فانت الملك المطاع ولك علي كل قدرة وسلطان . ان حياتي هي ملكك ، ولن اتردد لحظة عين في ان اعيدها اليك بكل سرور وارتياح ، ولكن اسمح لي ان اسألك يا ابت الحنون وايها الزوج العطوف ان ترق لحال والدتي المسكينة . كلا ! لست اطلب منك ان تبقي عليّ وانما اتوسل اليك لتبقي على امي ، فان موتي

قاتلها لا محالة .

يفتاح : لقد رميتني ياولدي بسهام مميتة ، واريد منك ان تثقي كل الثقة من اني لم اجازف بحياتك الغالية ، بل بذلت اقصى مجهودي لا فديك بحياتي فلم تستجب رغبتي . لقد ضحيت بالنفس والنفيس لانجيك من الاخرة التي سببتها لك بنزقي وطيشي ، ولكن الالهة رفضوا تضحيتي بنفسي واصروا بكل قساوة وضراوة على ان تكوني انت لا سواك الضحية وانما تشددوا وتصلبوا في طلبهم ليرموا عصفورين بسهم واحد : لاني مائت بعدك كمداً ، وموتك قاتلي لا محالة حزناً وغماً.

فيكتورين: اترضى ايها الوالد، ان تكون جلاداً لابنتك ! وهل ترتاح ايها الزوج ان تقتل امرأتك لوعة وحسرة ! كيف يمكنك ان تجعل ابنتك وامرأتك طعاماً لالهتك! ما هذه الشراسة والقساوة ! الا يقشعر بدنك بمجرد ذكرك ما انت قادم عليه وصائر اليه ! أهذه هديتك لي بعد انتظاري الطويل

لك على أحر من جمر النار ! ألا ارجع عن غيك وافتح عينيك لنور الحق والحقيقة وبدد عن ذهنك اوهام الالهة الكذبة وتخرصات كهنتها الاثمة . لو كانت الهتك حقيقية لما رضيت بهذه الشراسة واللئامة . لقد احييت الليالي الطوال ارقب عودتك وسمحت ببعاد ابني ادور سعيا في طلبك ، والان تريد ان تملأ كيل عذابي وبلائي بحرماني ابنتي تعزيتي وسلوتي ؟ هل يمكن ان يخطر لك على بال اني اقود بريجيت ولدي بيدي الى المجزرة ! او اني ارضى ان اسير بها في طريق ، كما يريد الكهنة ، مفروشة بالازهار والرياحين لا رأها بأم عيني تموت ذبحاً ونحراً ، ثم اعود بدونها من حيث أتيت ، وقد تولاني اليأس ؟ اعلم وتأكد ان لاقوة على الارض تستطيع ان تنتزع ابنتي من صدري واذا لزم الامر فاني سوف اموت واياها في لحظة واحدة .

(يدخل رئيس الكهنة وروبرت)

المشهد التاسع

المذكورون ، رئيس الكهنة ، روبرت

رئيس الكهنة : مولاي يؤلمني جدا ان افيد جلالتكم اني رايت في الهيكل الشموع منطفئة والاصنام مضطربة والشعب في باحة الهيكل هائج مائج يضج طالبا الاسراع في ايفاء النذر الملكي تسكينا لغضب الالهة .

يفتاح : اواه من هذا المصاب الاليم ويا ويلاه ويا حالاه من هذا الخطب الجليل . ايها الوزراء الكرام ارحموني! ألا اقتلوني قبل ان تروني بريجيت حشاشة كبدي جثة هامدة لا حراك لها .

روبرت : هيا بنا ايها الملك ولنترك الملكة مع بريجيت تصد عنها الغوائل .

(يخرجون جميعهم)

المشهد العاشر

المذكورون ، ما عدا يفتاح وروبرت

(تحاول الملكة اللحاق بالملك فيعترضونها)

رئيس الكهنة : سيدتي ! ان القضاء مبرم لا مردّ له ، فلا مناص من تسليم بريجيت طوعاً او قهراً .

فيكتورين : لقد طاش سهمك ايها الذميم او يدور في خلدك انك تستطيع ان تنتزع بريجيت مني لتقدمها ضحية لالهتك المنافقة ، الا اغرب عني ايها اللئيم لئلا تحل عليك نقمة الاله الواحد الحقيقي العظيم .

اميلي : انج بنفسك قبل ان تنقض عليك صواعق الله غضباً وانتقاماً .

عذراء : يا لعنة الله صبي على رأس هذا الوغد الخبيث الشرير .

عذراء ثانية: ايتها الارض انفجري وابتلعي هذا الرجس الدنس .

رئيس الكهنة : قبحاً لكن ايتها الكافرات الاثيمات (الى الجنود)
ايها الجنود انتزعوا بريجيت من يدي هـذه الام الكافرة
وسيروا بها الى الهيكل . (تتقدم الجنود)

فيكتورين : حبيبتي أميـلي بادري اليّ وخاصي مهجـتي بريجيت من
براثن هذه الوحوش الضارية (يفصلون بريجيت عـن
امهـا عنوة) .

فيكتورين : رباه ! رباه ! اعني ! لا تهماني يا الهي ، فعليك اتـكالي
وبحبل رجائك اعتصامي . صد عني هؤلاء الاوغاد ، اعد
الي ابنتي .

فيكتورين : (تسقط على الارض مغشيا عليها) وحينئذ يسمع صريخ
العذارى وعويلهن. اما الجنود فيستاقون بريجيت ، يتقدمهم
رئيس الكهنة ثم يفتحون باب هيكل الذبائح ويدخلون
بريجيت، وما هي إلا دقائق حتى يظهر الصنم وبريجيت عند
اقدامه والكهنة يدمدمون ويقومون ويقعدون بانتظار

الملك وهم يرتلون :

يابرهـام شاباح ساطـانا برهوما شنتـوما قاما
كاميشـا قابوكان قربانا خابورا المش فرسـانـا
هاكار كابان زرزبان يا باعال ريقـه قربونـا
شتلون بتلون توفيلان عـل ما دبحه هو شجونا

المشهد الحادي عشر

اميلي ، العذارى جاثيات على اقدام فيكتورين وهي غائبة عن حواسها . ثم تحدث صجة وضوضاء يعلوها صوت بوصول ادور فيدخل مع اسيت وفيكتور وجنود الاحباش .

ادور : ما الخبر؟

اميلي : (لفيكتورين) بشراك سيدتي فقدعاد ادور (ادور يندفع الى والدته) .

ادور : امي الحبيبة ما هذا ! ماذا دهاك .

فيكتورين : (تستفيق من غشيانها وترتمي على ادور) يا لسعادتي

ويا لشقائي في وقت واحـد ! أأودع حبيبـتي بريجيت
واحتفل بعودة ولدي ادور ؟ ادور! ادور! لقد عقل لساني
من هول المصاب ، شقيقتك بريجيت ذبيحـة على هيكل
الالهة الكذبة ، لقد انتزعوها قسراً عني واستقاوها الى
الهيكل، بادر الى تخليصها قبل فوات الاوان .

ادور : بريجيت تقدم ذبيحة وكيف يكون ذلك ؟

فيكتورين : ان والدك المسكين حينما اوشكت الدوائر في الحرب
تدور عليه نذر للالهة اذا منت عليه بالانتصار ان يقدم لها
لدى عودته الى بلاطه اول شخص يقع عليه بصره، وكانت
بريجيت لسوء طالعي وطالعها اول شخص وقع عليه نظره
ومنذ هنيهة حضر رئيس كهنة الاصنام ، قاتله الله ،
وانتزع من يدي بريجيت وسار بها الى الهيكل فسارت
امامه كالنعجة امام الجزار ولا اعلم ماذا جرى .

(يدخل يفتاح مع الوزراء)

المشهد الثاني عشر

المذكورون ، يفتاح ، الوزراء

يفتاح : ادور حبيبي هلم عانقني وكن تعزيتي في مصابي .

ادور : (يتقدم لمعانقة ابيه قائلا) : ابي ! ابي ! ماذا حدث لك وما هو مصابك فدى لك حياتي .

يفتاح : لقد اخطأت يا ولدي فعاقبتني الالهة على خطيئتي .

فيكتورين : رباه كن عوني في شدتي وثبت ضعفي وانر عقلي ودلني على خير الوسائل لنجاة ابنتي. انت جابر القلب المنكسر ووحدك الاله العظيم وما هذه الاصنام سوى تماثيل لا قوة لها ولا شأن .

ادور : والدتي العزيزة اني اكفر بهذه الاصنام ، واعبد الاله الذي تعبدينه وها اني ذاهب الى الهيكل لانتشال بريجيت وساعيدها اليك بقوة الاله العظيم .

يفتاح : لقد تجلى لي الحق وظهرت لي قدرة الله وها أني اكفر بالاصنام لاعبده سبحانه واذهب معك يا ادور ولدي الحبيب الى الهيكل لتخليص بريجيت .

هنريكوس: ملعونة هي الاصنام التي تأمر بتضحية الابرياء وسنحطمها شر تحطيم لنعبد الاله فيكتورين وحده ولنخلص بريجيت.

فيكتور : فلنحطم الاصنام وانا اكفر بها لاعبد الله عز وجل .

ادور : هيا بنا الى هيكل برهام اللعين لتخليص بريجيت .

(يغلق الستار)

الفصل الخامس

المشهد الاول

يرفع الستار عن هيكل للاصنام يتصدره مذبح تجثو امامه بريجيت يحدق بها الكهنة ورئيسهم وهم يدورون حول المذبح مرتلين براهام . . . الى اخرها .

الكهنة مع رئيسهم ، ادور ، هنريكوس ، أسيت ، جنود احباش

رئيس الكهنة : يا ويلكم من كفرة زناديق ! أتبلغ بكم القحة والجسارة الى حد تقتحمون عنده بيت الالهة لتنتهكوا حرمة الاصنام وبرهام العظيم !

ادوار : صه يالئيم والا نكلنا بك شر تنكيل واذقناك العذاب الاليم

كاهن : أنج بنفسك ايها الفتى الاثيم ، قبل ان تصبح جثة هامدة تدوسها الاقدام .

ادور : زِه ، زِه ، لقد طاش سهمك واخطأت المرمى ايها الوغد

الفاجر دونك عاقبة هزلك او بالاحرى هذياناتك .

(ويغمد سيفه في صـدره فيسقط مضرجا بدمه ثم يلوي على رئيس الكهنة ليعاجله بطعنة نجلاء فيستغيث صارخاً :

رئيس الكهنة : رحماك ايها الشاب النبيل ! ألا أبق عليّ لاميط لك اللثام عن سر خطير : ان روبيرت الوزير هو الذي اضرم نيران الثورات والفتن ودبر هذه الدسائس والاحن وهو اولى منا بهذا المصير الاليم .

وهنا تقع الواقعة فيهجم الجنود ، على اشارة من ادوار ، على الكهنة ورئيسهم فتنشب المعركة ويغتنم ادوار فرصة احتدامها فينجو وبريجيت

المشهد الثاني

يفتاح ، هنريكوس ، وزراء ، جنود ، يدخلون من الجهة المقابلة للجهة التي نجا منها ادوار بشقيقته بريجيت .

يفتاح : (لدى مشاهدته الكهنة مدرجين بالدماء) .

وعلى الباغي تدور الدوائر ، فقد حصحص الحـق وزهق الباطل ، ولا بد للبـاطل من ان يزهـق عاجلا او اجلا ،

فاذا كانت جولته ساعة فان جولة الحق الى قيامة الساعـة

(ثم يأمر باخراج الجثث الى خارج المسرح)

والآن وقد انفضحت ، والشكر لله ، المكيدة التي تفنن في حياكة خيوطها الوزير روبرت فاني آمران يلقى القبض حالاً على هذا الخائن الماكر وان تؤلف فوراً محكمـة غـير عادية تنظر في خيانته وجرائمه وتصدر فيه حكمها العادل ليكون عبرة لمن تسول له نفسه نكث عهود بلاده وغدر مليكه .

هنريكوس: امرك مطاع يا مولاي (ويخرج مع جنديين)

المشهد الثالث

فيكتورين مع العذارى ، بريجيت ادور ، اميلي

ادور : دونك يا ابي والدتي واختي فقد نجتا من شر الغوائل والمهالك بقوة الله العظيم الذي تعبده امي وصرنا بفضلها نعبده معها .



يفتاح : (يعانق فيكتورين وبريجيت) شكرا لك ايتها المرأة الحكيمة العاقلة فانك درة يتيمة بل اثمن من الدرر واللاّلي وقد كان لي الحظ بامتلاك هذه الجوهرة الكريمة . واني اشكر لك صبرك على المحن والشدائد ومقاومتك المصائب والنكبات في سبيل نجاتي ونجاة ابنتي بريجيت من المهالك والمكائد .

ادوار : يطيب لي وقد كلل الله سبحانه ، مساعينا بالفوز والنجاح ان اقص عليك مغامرتي في سفرة طويلة شاقة ، ان شوق والدتي المدنف اليك وقلقها المذيب عليك كل ذلك اقض مضجعي وحرمني كل سرور وهناء واثر في الى حد لم اعد اطيق عنده المكوث مكتوف اليدين بدون ان ابدي حركة في سبيل الاهتداء الى اثارك للوقوف على اخبارك . وبعد ان اخفقت كل مساعي والدتي في سبيل تحويلي عن عزمي سمحت بسفري على رأس اسطول من الجنود والعتاد مع القائد الامين اسيت . ولكننا لم نكد نسير في البحر

اياماً حتى عاكستنا الرياح وهاجمتنا الاعاصير والعواصف فابتلعت امواج البحر الهائجة الاسطول ونجوت والقائد الى صخرة قضينا عليها ليلة ليلاء في خوف ووجل لا نعلم مايخبئه لنا الغد. وما بزغ الفجر حتى عثرنا على صاري احد المراكب فتعلقنا به انا واسيت، واذا بالامواج تسوقنا الى شواطىء الحبشة فالقى جنودها علينا القبض وساروا بنا الي مليك البلاد، وما اطلع، جازاه الله، على حقيقة امرنا حتى اكرم وفادتنا واحلنا على الرحب والسعة. وشاءت الاقدار ان تطوح بالقائد الامين فيكتور الى تلك البلاد، وذلك على اثر المكيدة التي دبرها له الخائن روبيرت، فكان اجتماعنا به في بلاط الملك إتفاقا عجيباً هيأه لنا الله جل جلاله بحكمته وخفي اعماله. فجهزنا هذا الملك العظيم بالعتاد والجنود لمزيد ارتياحه الى مشاهدتنا وتوسمه فينا الصدق والاخلاص وقد سلمنا هذا الكتاب اليك وشيعنا بالعز والاكرام (يتناول الملك الكتاب وبعد الاطلاع عليه يدفعه الى احد القواد آمراً).

يفتاح : اتل هذا الكتاب جهراً يتلوه وهو مدون في صفحة ٦٢)

يفتاح : (وقد انتهى القائد من تلاوة الكتاب) اشكر لك يا ولدي مرؤتك ونبل عواطفك وأسأل الله ان يرعاك بعنايته ويحفظك حارسا أمينا للبلاد وعزاً وفخرا لي ولامك ولشقيقتك .

المشهد الرابع

المذكورون ، هنريكوس ، ضابطان

هنريكوس: مولاي لقد عقدت المحكمة جلسات عديدة وبعد الاطلاع على المستندات والتقارير واستماع الشهود بحق الوزير روبرت اصدرت حكمها باعدام هذا الخائن ولم يبق غير ان تصدق جلالتكم على هذا الحكم ليصبح مبرما نافذا .

يفتاح : اني لا اتردد لحظة عين في التصديق على الحكم ليأخذ العدل مجراه .

فيكتورين . لقد تجلى في حكم القضاة الانصاف والعدل فافعل انت

ايها الملك ما يحسن بك من عفو وحلم .

يفتاح . لابد من قتل هذا الخبيث لا انتقاما ولكن ليكون عبرة لسواه من الخونة الماكرين .

فيكتورين . مهما كان جرمه كبيرا والقضاء عليه عادلا ، فان عفوك ايها الملك لاوسع وحلمك أولى .

يفتاح . اني اعترافا بفضلك يا فيكتورين اجيبك الى طلبك ، ولكني ابدل الاعدام بالنفي والاقصاء المؤبد عن البلاد لاكفيها شر الخونة واريحها من غدرهم ومكرهم .

المشهد الخامس

المذكورون ، روبرت ، جنود

(يدخل روبرت يسوقه جنديان مكبلا بالسلاسل والقيود)

يفتاح . لقد برح الخفاء وعمت جرائمك ايها الخائن الماكر البلاد وما كان يخطر على بالي ان تتسفل الى ما تسفلت اليه من

الخسة واللؤم والغدر بعد ان رفعتك الى اعلى المراتب وقلدتك ارفع الاوسمة وجعلتك ثقة مني باخلاصك شريكي في ملكي. ان جرائمك لتستوجب عقابا اخفه الموت على ان الملكة بالرغم من انها اولى ضحاياك ، فقد دفعها طيب عنصرها وصادق تدينها الى ان تطلب لك الرحمة والعفو وانا اكراما لها واعترافا بجميلها وشكرا للاهها، الاهنا ايضا ومعبودنا ، نبقي على حياتك ولكننا لا نستطيع ان نبقي عليك في البلاد فنأمر ان تنفى منها فوراً لتذوق في منفاك شر العذاب وتكفر عن جرائمك وشائن اعمالك .

(يخرجون روبرت)

فيكتورين . اشكر لك ايها الملك حلمك وباهر حكمتك واسال الله ان يؤيد عرشك ويوطد دعائم ملكك على العدل والرحمة فخير الممالك ما بني على العدل والانسانية .

المشهد السادس

المذكورون ، فيكتور

فيكتور . (ينحني مسلماً) عشت دهراً ايها الملك العظيم ولا عاش

من قام لك عدواً وخصما .

يفتاح اهلا بك ايها القائد الامين لقد بلغتني اخبار مآثرك ومحامدك فاني شاكر لك كل ذلك ، ومهما اجهدت جهدي في مكافأتك فانه قليل جدا في جنب حسناتك ، وها اني اخلع عليك الخلع السنية .

(يقدم له جوهرة كريمة)

واسند اليك اسمى المراتب واعلى المناصب فانك جدير بكل تجلة واكرام لاخلاصك ووفائك ، وانت ياهنريكوس ويا ايها الوزراء الكرام اثني اطيب الثناء على مرؤتكم ومؤازرتكم وثباتكم على عهدي وعهد البلاد حتى في اسود ايام الشدائد والنكبات .

اما انت يا اميلي قدوة النساء الحكيمات وعنوان الفضل والاخلاص اشكر لك ملازمتك الملكة امراتي في محنتها ومساعدتك اياها على نجاة ابنتنا الحبيبة بريجيت من مكر

الخونة واقراراً بجميل الملكة فيكتورين وشكرا لله الرب القدير جابر العثرات وناصر المظلومين اجل شكراً لله سبحانه الذي هدتنا الى معرفته والتعبد له آمر بتحطيم الاصنام وهدم هياكلها ومذابحها واستئصال عبادتها في كل البلاد لكيلا يعبد الا الله وحده فهو ، تباركت اسماؤه ، عماد من لا عماد له ، وركن من لاركن له ، ومجير الضعفى ومنقذ الهلكى ، اذا نزلت بنا الغموم لجأنا الى الاستجارة به ، لان بيده ازمة الامور كلها ومصدرها عن قضائه واحكامه ، وهو وحده سبحانه وجل جلاله مجير الضعفى ومنقذ الهلكى وارحم الراحمين .

(تسجد العذارى وتصرخ بصوت واحد)

يامجير الضعفى ومنقذ الهلكى اياك نعبد ولك وحدك نسجد فانت ارحم الراحمين .

ينزل الستار

القصائد

التي قرظ بها بعض ادباء ذلك العهد

مؤلف مأساة بريجيت

المرحوم

يوسف نعمة الله جد

وذلك كما جاءت في مجموعة مطبوعة

سنة ١٨٧٣

قال جناب السيد مصطفى افندي انطاكي

العقل افضل منحة وعطاء
والعلم للانسان خير رداء
وحلية الاداب اجمل زينة
والجهل اعظم محنة وبلاء
فاجهد لتحصيل العلوم وكسبها
وانهض لها بالهمة العلياء
فقيمة الانسان ما يدريه من
علم يسود به على القرناء
واحذر تغرك عن رقائك للعلى
دنيا دنت في اعين العقلاء
اياك اياك الغرور بما بها
من دولة او ثروة وغناء
واحرص على نيل العلوم وبعدذا
تاتي لك الدنيا بغير عناء
يا ايها الغادي كما شاء النوى
لمنال آداب وكسب علاء
فارح ركابك من مسيرك قاصداً
ذات العواصم بلدة الشهباء
وانزل بمدرسة الموارنة التي
سلكت بنوها مسلك الادباء

فترى بهم من كل ما تبغيه من
ادب تسر به عيون الراءى
واذا حضرت الفحص في ميعاده
فانظر اذا لاولئك الابناء
فيا له يوم بطالع انسه
ببنيها قرت اعين الاباء
واحذر اذا رفع الستار بداهة
عن شمس حسن الغلمة النجباء
فغض طرفك بدهة كي لا تضر
بناظريك اشعة اللاءلاء
من كل طفل ان تكلم خلته
كابن الحريري صاحب الانشاء
او جال في نظم العروض رايته
الشب الظريف نتيجة الشعراء
او فاه في صرف تظنه شارحا
لامية الاف والاسماء
او هم في تقرير نحو تلقه
هو من بقايا الفرقة العرباء
واذا اختبرته باللغات كانه
قاموسها من همزة لليـاء
وكـذا بعلم الاشتقاق تظنه
هو شارح الاتحاف للرفقاء

وله المعاني والبيان كلاهما
يجري على شفتيه مجرى الماء
وله بتاريخ القرون دراية
ينبيك عنهم من لدن حوا
وله الرياسة في الكتابة فابن مق
لة لم يكن يحكيه في الاملاء
وله البراعة في الحساب وانه
اقليدس بمساحة البيداء
وبعلم منطقه تفرد وهو ذو
باع بعلم طبائع الاشياء
واذا تغنى فابن سينا لم يطق
يأتي امامه ناشداً بغناء
واذا نوى تقليد صاحب شوكة
بالحكم او احدا من الامراء
ينهي ويأمر بالصواب كانه
ملك تحفه زمرة الوزراء
واذا تقلد صارما فكانه
اسد الحروب وفارس الهيجاء
لله در بني الموارنة الاولى
فاقوا على الامثال والرفقاء
جهدوا باحياء التمدن مثلما
بذلوا النفوس لنيل كل مناء

فليجهدوا بعد انقضاء الفحص في
تقديم شكر دايم ودعـــاء
لمعلميهم في المدارس انهـــم
سبب لهم في نيل كل عـلاء
وليوسف الجـد الفخار فانه
ذو فطنـة ودراية وذكـاء
قـــد مثلث افـكاره لرواية
ما شاهدتهـا قط مقلـة راءى
فيشكروا لصنيعه ما اشرقت
شمس الضحاء ولاح بدر سماء

وله ايضاً قاصراً مشاهدة الرواية مرة اخرى

لقد شمر بن الجد عن ساعد الجد
وجرد من افكاره الصارم الهند
ورتب الاخوان ابهى رواية
لقد جاوزت بالحسن دايرة الحد
دعاني لها القس الهمام رئيسهـا
ولم اكتف من مرة يا اخا الود
فمن لي بتكليفي لهـا ثانياً ولي
صديق له في رفقتي غاية الجهد
سوى يوسف ذاك الاديب وانني
ساقضيه مدحاً بعد ايفاه قصدى

قال جناب الخواجه الياس فرج الدليتاوي

لله در رواية شخصتها
بيراعة وفصاحة للرائي
بالجد يابن الجد قد نلت الثنا
من كل ذي ذوق من الفضلاء
مذ شاموا كل افادة ونتيجة
لنهى العقلا وفطنة الكبراء
فلوضعها النقاش كان المبتدي
فيها ببيروت الى العرباء
فقفوت اثراً له بسل قفته
فدعيت مارون بذي الشهباء

قال جناب الخواجا نعمة الله سقال

ان الفتى ابن الجد من حاز الثنا
برداً خطيراً ساطع الاضواء
ابدى لنا من معجزات بيانه
ايات حسن نزهة للراء
برواية عذراء صاغ حليها
في قالبي فصاحة وذكاء
هذى التي انوار طلعة لطفها
كالشهب ضات في ربى الشهباء

قال جناب الخواجا يوسف مارون

اليوم يوسف ابن الجد قد نجحا
نعم وميزانه والله قد رجحا
ابدى لنا عجبا مما قد اقترحا
رواية فيها باب الفتح اذفتحا
جينا اليها رأينا الدر عن ثقة
اتى به البحر لما انه طفحا
بغلمة بلجوا كالصبح اذ وضحا
ما منهم الا من جاد ومن نصحا
رحنا وكل بما عيناه قد نظرت
كناهل الراح لما لاثم القدحا
سبحانه بارى الاكوان من صمد
من فضله زاده حذقا وقد منحا
هذا يحق الى من رشده لحا
فبدد الجهل عن انظارنا ومحا
وكل شكر قليل في براعته
اذ كان صنعه ذا من فكره اقتدحا
فالمدح اهل به من كل من مدحا
والذم اولى الى من فيه قد قدحا
اليك مدحاً وشكراً تستحقها
عن روبة حسنت نلنا بها الملحا

فاقبله مني واصفح عن تجاسرتي
فافضل الناس من عن قاصر صفحا

قال جناب الخواجا حبيب عبدني

اقول لصاحب الذوق المجيد
لقد ظهر التمدن للوجود
اليك رواية منها نظرنا
مشاهد لا يغين عن الشهود
فكم من ماجد لما رآها
تراسل دمعة فوق الخدود
وكم من حاسد قد راح غيظاً
يعض بنانه مثل الحقود
ولم يعلم بان الله يقني
وديع القلب من فضل وجود
فعودك ياحسود الخير شر
فلم تأت المواهب بالقود
وخذ امثولة من خير قوم
وقل يا زمرة العلماء سودى
فنعم رواية قد انبات عن
وجود الكفر في زمن الجحود
اتتنا بيوسف من آل جد
عريق الجد من خير الجدود

وذكرنا بها عهداً قديماً
فيا لله من تلك العهود
وأسسها بتاريخ وجد
فشيدها على رغم الحسود

قال جناب احمد افندي وهبه

ازهار علم اينعت في المحضر
بحديقة تزهو بحسن المنظر
بهجت رياض بديعها وفنونها
حتى حكت بعلومها الازهري
وتشخصت فيها الرواية عندما
برعت فكانت نزهة المتبصر
سلبت فوادي في لطافة صنعها
وبحسنها فنظرت ما لم انظر
كشف الحجاب وقد بدت اشخاصها
فالتذ طرفي بالجمال المظهر
حور وولدان غدت في جنة
خلف الحجاب تمنعت بتستر
الفاظهم مثل اللآلى قد اتت
برطوبة وعذوبة كالسكر
نغماتهم قد اسكرت اهل النهى
فزهت فراقت كالشمول المسكر

لم يبق منا ناظر الا غــدا
مترددا في دهشة وتحــير
حازت بابن الجد حسن تجمل
فزهت تفوق على الصباح النير
اهديك شكراً يوسف عما اتي
رغماً على انف الحسود المفتري
ان الفخــار من الموارنة انتمى
ولقدروى عنهم بطيب العنصر

قال حضرة الاب لويس حكيم المارونى

ابدى لنا ابن الجد ابهى رواية
الفاظها درر وحسنهــا يوسف
وبلطفها سلبت عقول اولى النهى
عجباً فهل هي مشهد ام قرقف
لا عيب فيها سوى مرايرها على
قلب حسود جاهل لا ينصف
حاز الملاحة يوسف في عصره
وانت ملاحة عصرنا يا يوسف

قال حضرة الاب انطونيوس قنزلفت السريانى

الوفاء

أمن تذكر عهد مر في القدم
هاجت شجوني وسال الدمع كالعرم

حيا الحياحي عرب قد عهدتهم
على الوفا والصفا في الحرب والسلم
قوم كرام فلا شين ولا وضر
يعزى اليهم ولا غدر بعهدهم
نعم فوالله عندي ذكرهم ابداً
ما زال يحلو ولو في طارق الحلم
معندم الدمع من عيني جرى قلقا
هم فيه منع دمى اومت عن عدم
فالسهد حل وجل الخطب واحرق
والشهد ولى وطرفي بات لم ينم
سألت دهرى الم يرو الظما بدمى
وما تعناه من شرى فقال لم
فقلت حال على حالى الفنا وعنا
صبري وجسمي غدا لحماً على ضم
وطال هجري وآمالى لقد قصرت
من اللقا فانتشل قلبي من الضرم
عليل هجر غليل الشوق احرقه
هيهات يطفى اللظا في موقع السم
قد شاب شعري وشعري يافع رطب
لاعيب فيه سوى مستلطف الحكم
ياعاذلي في الورى كن عاذري فانا ال
شاني اللئام وشاني مدح ذي شيم

قان تكن حلتي كالليل مظلمة
فخلتي كبياض الشمس لم تسلم

رجوت ان يعدلوا في الحب فانعدلوا
عن الوفا واستباحوا نم ذي ذمم

وخفضوا جانبي بعد السمو ولم
يلو الفواد فكانوا احرف القسم

وشامت شام تعذيب ومنقلبي
فسام اوج العلا واغتر في السهم

بعرض المدح خبثا جاء يقدحني
دعني وشاني ولا تمدح ولا تلم

الذنب والله ذنبي ها انا بيدي
اسلمت نفسي لوقع الشك والتهم

فالنطق في بكم والسمع في صمم
والقلب في ضرم والطرف صار عمي

سالت قلبي هل يسلو مودتهم
فقال انى وسلواني بودهم

ولو كان للدهر قلب غير منقلب
لما وعى الصبر مثلي بعد بعدهم

مالي وللدهر دعني انني ثمل
من راح اهل الوفا والفهم والكرم

من جدهم جاد واستعلت معالمهم
حتى غدا فضلهم ناراً على علم

من اهل جد فتى رام العلا فعلا

بالفصل والفضل والاحسان والشيم

سمى راى سنى الفكر ذو حذق

في وصف جانبه قد حار كل فم

قولوا لابناء يعقوب الجدود اجلى

قد سار يوسف في الشهباء كالعلم

أروت ظما كل تحرير روايته اا

حسنى فقر لها بالذوق كل سمى

جاءت تذكرنا العهد القديم ومن

اولاهم الله خيراً اجر برهم

فيها الذئاب بدت كالشاة في حلل

غرا واخرسها قـد فاه بالحكم

ناديت لما تجلى حسن رونقهـا

ياخير ذي همم ياخير ذي همم

قد حق مدحك منى فرض معترف

تراه عند الوفا بالشكر في عصم

يقول والود والاحسان شيمته

المدح ديني في بدءي ومختتمي

قال حضرة الابيفولاوس كبلون المارونى

الشكر

بزغت شموس العلم في الاذهان

وتسامت الاعمال بالبرهان

ثمر العلوم بدا بشهبانا وقد
لاحت نتايجه تجاه عيان
بشرى لنا في لوذعي حازم
هو يوسف ابن الجد ذو الاحسان
من قد تسربل بالمعارف والذكا
وله انتمى الفضل بكل اوان
ذو فكرة وقادة وفطانة
وبلاغة فاقت على حسان
اقواله صاغت لنا دررا زهت
ويراعه ابدى رقيق معان
فرد تسامى بالبراعة عندما
سلب العقول بمنظر فتان
قد اذهل الالباب ضمن رواية
فله يحق الفخر كل زمان
نشرت اريجا عرفه يزهو على
زهر الربى وشقايق النعمان
فترى بهاتيك الرواية مشهداً
منه تعود بدهشة الحيران
من قايد وموظف ومدبر
متوشحين ملابس الفرسان
وترى العساكر والملوك كانها
بالمجد كسرى بهجة الاكوان

من شام بارق حسنها وجمالهـا
مع ظرفها وكمالهـــا المنصان
ابدى التشكر من صميم فؤاده
وغدا يهنى قاطني الاوطـــان
الا الحسود فانه امسى بهـــا
متبرقعـا بالغـى والطغيـان
ته ايها الندب الفضيل بما به
جيتم لقـد فقتم على الاقران
فلك الثناء يحق من اهل النهى
ما غرد القمري في افتـان

قال جناب الخوجا ميخايل انطوان سقال

ابدى لنا ابن الجد من فضله
رواية قرت لهـا الفـاضـلون
نادى لسان الحـال اذ مثلت
لمثـل ذا فليعمـل العـامـلون
قل للاولى قـد حاولوا عيبهـا
هيهات هيهات لمـــا توهمون

قال جناب الخواجا رزق الله مارون مشطراً

ابدى لنا ابن الجد من فضله
تاريخ يفتـاح وتلك القرون

مذ ميطت الاستار يا صاح عن
روابة قرت لهـا الفاضلون
نادى لسان الحـال اذا مثلت
تنبهوا يا ايهـا الغـافـلون
واسعوا لما يجدي الفتى شرفاً
لمثـل ذا فليعمـل العامـلون
قل للاولى قد حلولوا عيبهـا
ضللتم يا ايهـا الجـاهـلون
وهل يعاب البدر مع حسنه
هيهات هيهـات لمـا توهمون

قال جناب الخواجا جرجس انطوان دلال

لله در روابة قـد مثلـت
من فاضل حاز الثنـاء الافضلا
فيها امتلا قلب النظيره مسرة
وبهـا غـد كل امرىء متهللا
حتى م تلهو الناس في ابدانها
والجهل ولى مـدبراً ومولولا
والنور من افق النهى قد لاح يز
هو ساطعاً متلاءليـاً متجملا

جدوا بنا يا افضل القوم الذين
بعلمهم سرنا كنور قد ملا
صولوا وطولوا اذبكم حزنا الهدى
والمرء في افضاله يغنى الملا
لا ينفع المال المجمّع انه
يفنى ولكن المعارف لا ولا
ويلاه من عمل بلا جد ولا
حرص فذا عوض الهنا يوتي البلا
شكراً لمن قد فاق مدحا جده
فله انتمى كل السنى بل والعلا

قال جناب جرجس افندي جبرائيل بليط

عيون المهى قد اشهرت لقتاليا
سيوفا من الالحاظ تفري حشائيا
فبالله يا غزلان شهباء بالحمى
خذوا بيدي قد ضاق في مكانيا
وقد عيل صبري بالذي قد لقيته
فويح عذول ليس يرثى لحاليا
رمتني جفون الغيد عن نبل مقلة
فعدت صريعاً خابطاً بدمائيا
انوح من الالام لااطعم الكرى
ونيران هند في فوادي كما هيا

اهل من طبيب علم بجوى الهوى
يداوي جراحي ام يصف لي دوائيا
خليلى هند حالت سلب مهجتي
وليس لليلي موضع في فواديا
يقولون مجنون الغرام بحبها
ولم اك اصلا من صوابي عاريا
واني عليل مثخن بجراحه
علاجى اضحى في المحبة دائيا
فقيس عرته خـلة في صوابه
غداة رأي اظعان ليلى غواديا
ولكنني بالقرب من هند اشتكي
سهام عيون قد ارتني الدواهيا
ولي في غرامي بعض صبر اذوقه
بيوسف اذ القاه خلا حذائيا
حميد السجايا والمناقب ضيغم
حوى اللطف طبعاً بالبراعة زاهيا
اصيل جدود وابن جد وجهبذ
له الجد والفهم الذكي مدانيا
روى فضله فصل الرواية اذ بدت
بها درر الالفاظ عقدا ملاليا
وسبك معان قد تجمل نسجها
بمسجد اقوال تصيغ اللآليا

تشخص اقواما مضوا وعوايدا
بسالف اعصار وابعد ناديا
فلله در براعـــة قد بانها
مذ استخدم الاحداث مولى وقاضيا
فتى جاد بالمعنى الرقيـق كانه
سلاف بها الانوار تغشى اللياليا
تردى بجلباب النباهة والذكاء
له غامض اللغات قد عاد دانيا
فخذ بنت فكر وهي هيفاء تنثني
بشكر ثناء منك قد جاء وافيا
ودم يا خليلي خير خل تخذته
صديقا على رغم العداة موافيا

قال بعضهم

زماني قد رماني بالكروب
وروعني باصناف الخطوب
عجزت عن الحراك ولى فؤاد
تئن من الصباح الى الغروب
دعوت الناصرين فلم تجبني
ولم ترفق فهل لي من مجيب
لقد فقد المعين ولا معين
سوى العبرات كالثكلى الندوب

وليل قـد سهرت دجاه حـتى
جنحن نجومه نحو المغيب
لعلي ان اصادف لي صديقاً
يساعدني على الزمن الكذوب
متى ولدت بنـات الناس حرا
يقـال اتـين بالشي العجيب
وحار الناس الا البعض منهم
بلاهـة نعجـة ووثوب ذيب
فقـل لمن ادعى العلياء دعوى
رويدك لست بالرجل الاديب
تركت السعي عن كسل وعجز
وتزعم ان ستظفر بالنصيب
اتطمع خـاطباً بكر المعـاني
وتجزع من ممـارسه الخطوب
اذا رمت المفـاخر والمعـالي
فلذ في يوسف الجد الحسيب
فـتى آباوه نجـب كرام
ولا يلد النجيب سوي النجيب
بصير بالامور يـكاد يدري
بمـا يقضيـه عـلام الغيوب
دعي العلـا اليه وقـد اجابت
الا لبيك من ندب لبيب

كان المرضعات سقتـه جوداً
واغـذتـه اللطـافة كالحليب
اذا ذقت الهوان فمـــل اليه
يهـون شدة الامر الصعوب
حميد الفعل ممـدوح السجايا
غني النفس ذو الصدر الرحيب
فدونكها تشبب فيك مدحـا
ونار الشوق منهـا في شبوب
وقد رفع الحجاب هواك عنهـا
فـــلا تخشى مراقبـة الرقيب
فرح بين الورى قمراً منـيراً
يضيء وليس يجنـح للمغيب

قال ايضاً بعضهم

لله در رواية قـد خلـدت
ذكراً لمنشيها الاديب اللوذعي
من آل جد قـد تناهى فضله
من عقله ابدي لنا سراً خفي
فمكان يوسف راح يبدي حكمه
في عصره ببراعة مولى دعي
بشراك ياشهباء قد نلت العلا
في ذي الفنون فكنت افضل مصر في

قال جناب احمد افندي وهبي

يا ايها الخل الوفي بعهده
مجد العلى بسمو قدرك يوصف
فلك البشارة والتهاني انما
انت العزيز بعصرنا يا يوسف

قال جناب ميخايل انطوان سقال

هناتك يا بن الجد في خير منصب
فانك اوفى من على الارض قدمشى
تمنت معاليك الاعادي ولم تصب
وذلك فضل الله يوتيه من يشا

تمت بعونه تعالى



